الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: ط1 :095059926
رقم التسجيل: ط2:. . . . . .

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص:
بعنوان

الأنساق المضمرة في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي

إعداد الطالبة:
- غرابي فوزية

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
جلول دقي	**بروفيسور**	جامعة المسيلة	رئيسا
عبد القادر العربي	**دكتور**	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
واسيني بن عبدالله	**بروفيسور**	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1442 _ 1443 هـ / 2021 _ 2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إ هـد ا ء

إلى نبع الحنان أمي، إلى أبي العزيز، إلى كل عائلتي إخوتي أخواتي، إلى كل من وسعهم قلبي ولم يكتبهم قلمي، إلى كل من يحب الخير لهذه الأمة أمة المليون ونصف المليون شهيد ، جزائر العزة والكرامة بلادي الحبيبة أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع .

غرابي فوزية

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" الحمد لله الذي وفقني على إنجاز هذا العمل وعرفانا مني لا يسعني في مقامي هذا إلا أن أقف فخورة حاملة راية الشكر والعرفان إلى جميع من ساهم أو ساعدني في إنجاز هذا البحث والذي أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من:

الأستاذ المشرف "**عبد القادر العربي**" الذي لم يبخل علي بمعلوماته والتي أفادتني كثيرا في عملي وبنصائحه وتوجيهاته وعلى حسن الإشراف راجية من المولى عز وعجل أن يجزيه عني أحسن الجزاء.

شكري موصول أيضا إلى لجنة المناقشة على قبولها مراجعة عملي وتقييمه.

غرابي فوزية

مقدمة

إن ظهور النقد الثقافي في أواخر القرن الماضي كان تحولا كبيرا في مجال الممارسة النقدية، وقد تمثل في الانتقال من نقد الأدب إلى أفق أوسع وأشمل وهو نقد الثقافة. والتي تمثل الثقافات النخبوية الشعبية، وكذلك ثقافة الصورة، وثقافة العلوم وغيرها.

ارتكز النقد الثقافي في دعواه هذه على مختلف العلوم والمعارف والمجالات التي شكلت أرضية صلبة، انطلق منها في مقارباته الثقافية، وأولها هو مجال النقد الأدبي الذي يشمل المناهج السياقية، والمناهج النسقية، إضافة إلى نظريات القراءة، وكما ارتكز النقد الثقافي أيضا على علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، كما استفاد من تطورات العلوم المختلفة. ليشكل بذلك خليطا أو مزيجا من المجالات والمعارف المختلفة، باستثمارها بشكل مميز في ممارساته النقدية وتحليلاته الثقافية.

عرفت الرواية النسوية في رحاب الممارسات الحديثة للنقد الثقافي، إضافات جديدة على مستوى القراءة والتأويل، الأمر الذي جعلها بالغة الأهمية في تمرير الرؤى والتصورات. التي تتغلغل في أعماق المجتمع لتكشف عن أهم القضايا الإنسانية، لذلك اخترت أن أدرس هذه الرواية ألا وهي رواية "وادي الحناء" للمبدعة جميلة طلباوي والتي تعتبر أنموذجا للدراسة محاولة في ذلك كشف أهم الأنساق المضمرة وسعيا إلى قراءة مختلف فضاءات الصحراء وأنواعها، ولقد كان من بين أهم الأسباب والدوافع التي جعلتني أختار هذه الرواية الأسباب الآتية:

- الاطلاع على تعريف النسق المضمر والرغبة في كشف وتعرية الأنساق المضمرة في الرواية.
- إظهار وكشف مختلف شروط وخصائص وأنواع النسق المضمر.
- إبراز أهم الأنساق الثقافية والاجتماعية وأنواع فضاءات الصحراء في الرواية.

وا ٍشكالية هذا البحث تمثلت في:

- ما مفهوم النسق المضمر؟

- ما أهم شروط النسق المضمر؟
- ما خصائص النسق المضمر؟
- ما أنواع النسق المضمر؟
- ما الأنساق الأصول؟ وما الأنساق الهامشية؟
- ماذا يقصد بالنسق الثقافي والنسق الاجتماعي؟

وقد اعتمدت في بحثي على الممارسة النقدية والثقافية وكتاب النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية" لعبد الله الغذامي، وكتاب "دليل الناقد الأدبي" للدكتور ميجان الرويلي، والدكتور سعد البازعي وكتاب "النقد الثقافي وتجلياته في النصوص الجزائرية" لقلولي بنساعد باعتبارهم نشاطا نقديا. وللإجابة عن أسئلة البحث والإشكالية المطروحة الخاصة به كالتالي:

1. مقدمةتقديم نظرة عامة وشاملة للموضوع وا ٍشكالاته الأساسية.
2. الفصل الأول: عبارة عن مدخل عام للتعريف بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية، مفهوم الدراسات الثقافية، مفهوم النقد الثقافي، التمييز بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،مفهوم الأنساق المضمرة، مفهوم الأنساق الثقافية.
3. الفصل الثاني: الأنساق المضمرة في رواية "وادي الحناء"، والفضاء الصحراوي و أنواع فضاءات الصحراء في الروايةوا ٍبراز أهم الأنساق الثقافية والاجتماعية.

ثم انتقلت إلى الموروث الشعبي بمنطقة أدرار إلى إبراز الأفكار التي سعت الروائية إلى تبيينها من خلال اللباس والحنة، والمأكولات والمشروبات، والأهازيج الشعبية.

والذي زاد في بحثي إضاءة مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي.
- نادر كاظم: الهوية والسرد في النظرية والنقد الثقافي.
- عبد الله الغذامي: الممارسات النقدية والثقافية.

- عبد الله الغذامي ،وسعد البازعي: النقد الثقافي.
- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي؟.
- محمد مفتاح: النص من القراءة إلى التنظير.
- أمين معلوف: الهويات القاتلة " قراءات في الانتماء والعولمة ".
- علي حرب: الممنوع والممتنع" نقد الذات المفكرة ".
- هيثم أحمد عزام: النقد الثقافي.

ولأن البحث في موضوع الأنساق في الرواية كان محطة انطلاق جديدة وحتى أصل إلى عمل مرموق حسن الشكل والمضمون مثمر، واجهتني عدة صعوبات ألخصها فيما يأتي:

- صعوبة تحديد المقاطع المناسبة للدراسة وهذا ما تطلب مني قراءة الرواية قراءات متعددة ومركزة.
- صعوبة الوصول إلى النسق المتواري والمتخفي خلف العبارات التي تبدو لنا في الظاهر يسيرة وسهلة.

ولكن هذه الصعوبات حلت عقدة البحث بفضل الله عز وجل، وبفضل توجيهات الأستاذ المشرف الدكتور: العربي عبد القادر التي تلقيتها منه، والذي أفادني كثيرا وأعانني على فك صعوبات وتعقيدات وشفرات هذا البحث بمختلف ملحوظاته القيمة.

فلاغر وا ٍذا أن: يجعل هذا البحث أمامه هدفا جوهريا يسعى إليه متمثلا في البحث عن أهم الأنساق الثقافية في رواية "وادي الحناء" للمبدعة "جميلة طلباوي" التي وجدنا أنها كتبت بعنق وأمانة وصدق ونقلت لنا عبر سردياتها الماتعة تفاصيل الحياة البدوية في إحدى مدننا الشاسعة ورسخت في أذهاننا كثيرا من الأفكار الجادة. فهذا البحث إذا هو محاولة البرهنة على قدرة جميلة طلباوي في تقديم رواية راقية وشامية المقام تتحدث عن عمق المكان وموروثه المتجذر في التاريخ، فكان هيكل البحث مبنيا على خطة متوازنة ومنسجمة في عناصرها لأصل في النهاية إلى جملة من النتائج.

إنني لا أرى مبالغة ولا أوظف مجازا حين أشير إلى قامة مثل جميلة طلباوي التي حاولت تقديم نص سردي مائز بحث في حفريات مدننا الداخلية الكبرى لتثبت من خلاله قيمة المكان والإنسان.

لقد تملكتني الحيرة أما مجرد التفكير في بحث ركب مركبا صعبا ووعرا،وطمع في الاقتراب من مبدعة فرضت تميزها واحترام الآخر لها بفضل رسوخ قلمها السردي فما عسى هذا البحث أن يقول في الروائية "جميلة طلباوي" بعد كل ما قيل؟ غير أن النور الذي آنست إليه واهتديت به وسط ضباب الرهبة المتراكم على ذاتي هو إعجابي بسرديات جميلة طلباوي كاتبةمبدعة وا ٍنسانة وا ٍني لأدرك تماما أن الإعجاب عاطفة، ولكنني لا أخشى أن تنأى به عن هدى العقل وموضوعيته ولا أتوقع منها.تُحملني موقفا متطرفا أو قولا شططا فكم جعلت المحبة سبل الحقيقة معبدة أمام البشر وكم ضربت بهم الكراهية في دروب الأوهام وا ٍني لأرجو إن فاتتني الركضعلى درب الحقيقة المعبد أن أكون قد وليتُ وجهي شطر قبلتها وتحركت إليها بخطى الأمل الموعود.

في الأخير أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف"**عبد القادر العربي**"على توجيهاته ونصائحه ودعمه لي وتوجيهه لأهم المصادر والمراجع التي خدمت الموضوع وامتنانا لإشرافه على هذه المذكرة ورسوها على شاطئ الأمان المعرفي،كما لا أنسى في هذا المقام أساتذتي أعضاء اللجنة الفاحصة لهذا العمل والذين تجشموا أعناء قراءتها رغم انشغالاتهم الكثيرة واهتماماتهم العلمية المكثفة فلهم مني تحية تقدير واحترام وا ٍلى كل من كان سببا في وصولي لهذه اللحظة التاريخية الفارقة في مساري العلمي.

لا أعتقد أنني اسوفيت الموضوع من كل جوانبه ولا أدري إلى أي حد كنت أخطو في طريق الصواب، كل ما أنا متأكدة منه أن المعرفة تُبنى دائما ناقصة وهي في حاجة للمراجعة والتمحيص والنقد والتنقيح والإضافة.

تمهيد

تمهيد

مدخل عام للتعريف بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية

1. مفهوم الدراسات الثقافية
2. مفهوم النقد الثقافي
3. التمييز بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي

- مفهوم الأنساق المضمرة
- الأنساق الثقافية

تمهيد: مدخل للتعريف بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية

1 – مفهوم الدراسات الثقافية

جاءت الدراسات الثقافية بوصفها رؤية جديدة، وقد خرجت خاصة في بداياتها في بريطانيا من رحم الدراسات الأدبية"[1]حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام عام 1971م - في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية- working papersin wltural studوالتي تناولت وسائل الإعلام، والثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا، والمسائل الإيديولوجية، والأدب، وعلم العلامات، والوسائل المرتبطة بالجنوسة، والحركات الاجتماعية والحياة اليومية، وموضوعات أخرى متنوعة، لكن هذه الصحيفة لم تستمر طويلا، وما يحسب لها أنها تحدثت بجدية عن الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام التي كان لها تأثيرا كبيرا"[2] على الناس وبهذا كان الاهتمام بالدراسات الثقافية. وقد عرفت الدراسات الثقافية انتشارا واسعا، واهتماما كبيرا في التسعينات، "شأنها شأن غيرها من قضايا الفكر والمعرفة، ليست جديدة، ولعل من سماتها عبر التخصصات وطغيان الصبغة التنظيرية عليها، وتنشيطها في حقول وثقافات متفرقة"[3]. وتعد الدراسات الثقافية نزعة منفتحة على ميادين مختلفة، تتجاوز الحقل الواحد وتسعى لفهم الثقافة بكل أشكالها "كما أن أفضل ما تفعله الدراسات الثقافية هو في وقوعها على عمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها كما تقرر مصير أسئلة الدلالة والامتناع والتأثيرات الإيديولوجية بوصفها تمثل الإنتاج في حالة حدوثه الفعلي.

وهذا يستحضر نظرية(الهيمنة)التي طرحها قرامشي"[4]. "GRAMsTi"1937-1891، وعلى العموم فإنها لا تهتم ببنية النص وشكله الجمالي والبلاغي وإ نما تهتم بنقد

---

[1] -سايمون ديورنغ: "الدراسات الثقافية مقدمة نقدية"،تر:د. ممدوح يوسف عمران،عالم المعرفة،الكويت،يونيو 2015م،ص10

[2] -ينظر آرثر أيزابرجر: "النقد الثقافي"،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،ط1 ،2003م، ص31.

[3] -ميجان الرويلي،سعد البازعي: "دليل الناقد الأدبي"، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط3 ،2002م،ص139.

[4] - اسماعيل خلباص حمادي،إحسان ناصر حسين: "النقد الثقافي(مفهومه-منهجه-إجراءاته)"،مجلة كلية التربية/واسطالعدد13،نيسان2013م، قسم اللغة العربية،كلية التربية،جامعة واسط،العراق،ص11.

المضامين سواء ظاهرة أو مضمرة، وتبني رؤيتها على أن الخطاب في الترويج لثقافة غالبا ما تكون ثقافة المهيمن أو الحاكم أو المؤسسات بما فيها الاقتصادية التي تروج للاستهلاك،أو للسلطة فيصبح النص وسيلة لتقرير وترويج ثقافتها وصناعة أذواقها. وعليه فإن " الدراسات الثقافية تتضمن طرقا منظمة للحديث حول أشياء العالم بالتفافها حول مجموعة من المفاهيم المفتاحية، كالتمفصل، والثقافة، والخطاب، والأيديولوجية، والهوية الثقافية والشعبية، والسلطة، والتمثيل والنص"[1]. فهدفها هو تلك الموضوعات التي تتعلق بالممارسات الثقافية، وعلاقتها بالسلطة لمعرفة مدى تأثير ذلك.

** "إن الفضاء الرحب للدراسات الثقافية لم يفقدها الأرضية الصلبة التي انطلقت منها فقد حافظت على الأسس الإيديولوجية في خطوطها العامة، مع مرونة في تحديث بعض أجزائها المهمة في نظرتها للأدب والتاريخ"[2]. بفضل كتابات بعض النقاد والمفكرين في حقول هذه المجالات. "وربما يأتي ارتباطها مع النقد الأدبي بشكل عام بسبب اعتماد كليهما في تحليلات النصوص الأدبية أو الثقافة على تخصصات معرفية أخرى"[3] ، وقد قدمت الدراسات الثقافية ما يشبه خارطة لجغر افيا النقد الثقافي تبين الأماكن، وأسماء الأعلام الرواد للنقد الثقافي حين ظهر في كل من[4]:

- فرنسا: رولان بارت- كلود ليفي ستراوس- ميشيل فوكو- لويس ألتوسير- جاك لكانبيير بورديو- جاك دريدا.

- ألمانيا: يورجين هايرماس- ثيودور أدورنو- والتر بينجامين- هربرت ماركوز.

---

[1]- كريس باركر: "معجم الدراسات الثقافية"،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1 2018م،ص195.

[2]- ينظر هيثم أحمد عزام:"النقد الثقافي"،الوراق،الأردن،ط1، 2006م، ص75.

[3]- سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية،ص10.

[4]- ينظر حنفاوي بعلي:"مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن"،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2007م،ص11، 12(المقدمة).

- الولايات المتحدة: إدوارد سعيد- فكتور تيرنيير- كليفود جرتيز- فريديريك جيمون.

- كندا: ميشيل ماكلون- إتش آنيس- نورثروب فراي.

- إنجلترا: ليفس- رايموند وليامز- ستيوارت هول- ريتشارد هوغارت- ماري توغلاس.

- إيطاليا: انطونيو غرامشي- امبرتو إيكو -وغيرهم.

هؤلاء الأعلام المهمة التي أسهمت في زيادة تطور الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ومنه فإن مدرسة برمنجهام الانجليزية إضافة إلى مدرسة فرانكفورت الألمانية من المدارس التي ساهمت في اغناء الدراسات الثقافية، كما أن هناك مجموعة من النظريات" كنظرية (ما بعد الحداثة)، والنظرية التفكيكية، ونظرية التعددية الثقافية، والنقد النسوي، والمادية الثقافية والماركسية الجديدة، ونظرية الجنوسة، والنقد الاستعماري(الكولونيالي)، ونظرية الاستجابة والتلقي، وثقافة الوسائل والوسائط الإعلامية، والخطاب السردي التكنلوجي. . . "[1] فهذه النظريات أسهمت كثيرا في إقرار كل من الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، كما يعد كل من علم النفس وعلم الاجتماع، وعلم العلامات(السيميوطيقا) مرجعيات للنقد الثقافي.

مفهوم النقد الثقافي:

في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، بدأت تظهر بوادر النقد الثقافي، حين "نشر ثيودور أدورنو كتابا بعنوان*نظريات*، وكان ذلك أول الكتب الأربعة التي نشرها عن موضو ع(النقد الثقافي والمجتمع)"[2]، ويعد أول من بلور مفهوم النقد الثقافي

[1] - جميل حمداوي:"النقد الثقافي بين المطرقة والسندان"،دار الريف للطبع والنشر الالكتروني،الناظور ،تطوان/المملكة المغربية ط1، 2015م،ص11، 12.

[2] - ريتشارد درولين:"مقولات النقد الثقافي"،المركز القومي للترجمة،القاهرة،ط1، 2012م،ص11.

أدرنو ثيودور في كتابه*مؤشرات*الصادر عام 1951م، فيه أن"النقد الثقافي مفهوم برجوازي أنتجه المجتمع الاستهلاكي فهو يحول الثقافة إلى سلعة"[1].

ومصطلح النقد الثقافي لم يتبلور واقعيا، إلا مع الناقد الأمريكي فنست- ب- ليتش (vincentB. Leitch)، الذي أصدر سنة1992م كتابا قيما في هذا الشأن، وهو أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظرية الأدب لما بعد الحداثة"[2]، حيث سمى مشروعه بهذا الاسم، ولم يكتمل نحو النقد الثقافي إلا على يد بنفيست من خلال تعامله مع الخطابات لاكتشافه ما هو غير جمالي وغير مؤسساتي ويعد نوعا من الدراسات النقدية المتطورة التي جاءت بتصور جديد للنقد الأدبي من خلال الاهتمام بقضايا ثقافية كانت مهمشة، فالنقد الثقافي" في دلالته العامة نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"[3]، فهو يمثل اتجاها جديدا هدفه الكشف عن الأنساق الفكرية السائدة والمختفية تحت تربة الجمالي والبلاغي.

أما عربيا فنجد الناقد السعودي*عبد الله الغذامي* من الأوائل الذين مارسوا النقد الثقافي في الوطن العربي وذلك بالرؤية والمنهج، من خلال كتابه*النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية*،وفيه يقول بأن "النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة والحقول(الألسنية)معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه"[4].

**__النقد الثقافي__ هو منهج أو إجراء ينظر إلى النص باعتباره رسالة مبطنة حاملة لعديد من الأنساق المختلفة.وا ٍعلان النقد الثقافي بمثابة إعلان فشل النقد الأدبي، فبعد طريقه

---

[1]- ينظر هيثم أحمد عزام:"النقد الثقافي"،الوراق للنشر والتوزيع،الأردن 2006م،ص77.

[2]- سمير خليل: "النقد الثقافي"، من النص الأدبي إلى الخطاب"،دار الجوهري،العراق،ط1، 2012م، ص11.

[3]- ميجان الرويلي وسعد البازعي: "دليل الناقد الأدبي"،ص305.

[4]- عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط3، 2005م،ص83، 84.

كان لا بد من حل، وهو النقد الثقافي الذي يصطف مع المفاهيم الجديدة التي ظهرت حديثا، كنقد ما بعد الكولونيالية أو ما بعد البنيوية، وقد أعطت المدارس النقدية الكثير من الاتساع والشمول

"فالنقد الثقافي ينظر إليه بوصفه مضلة واسعة تضم تحتها العديد من الاتجاهات النقدية العربية، كالمادية الثقافية، والنقد النسوي. . . الخ.

وكذلك الجماليات الثقافية(التاريخانية الجديدة-new historicism)"[1]. ويذهب*صلاح قنصوة*إلى اعتبار النقد الثقافي ممارسة ثقافية للمنجزات الأدبية، بعيدا عن الصرامة المنهجية والنظرية بقوله :"هو ليس منهجا بين مناهج أخرى، أو مذهبا أو نظرية، كما أنه ليس فرعا أو مجالا، متخصصا من بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص سواء كانت مادية أو فكرية"[2]، وكذلك يمكن اعتباره فرعا معرفيا كونه موضحا وواضحا في استعمالاته وانشغالاته وأهدافه، ويبقى هناك خلاف في كونه منهجا، أو بقاءه نظرية. ويرى*الغذامي* أن هناك ستة مفاهيم ينطلق منها الناقد في تحليله للنصوص الأدبية والثقافية، واعتبارها مرتكزات، واقترح عنصرا سابعا إلى العناصر الستة من عناصر الخطاطة التواصلية، كما اقترحها (جاكبسون)، وهو العنصر النسقي حيث حدد مصطلحات استعارها من النقد الأدبي وتحوره" لتكون صالحة للتوظيف في مجال النقد الثقافي وهي مصطلحات: الوظيفة النسقية، والمجاز الكلي، والتورية الثقافية، ونوع الدلالة، والجملة النوعية، والمؤلف المزدوج"[3]. فهي آليات قد حددها للتحليل الثقافي:

---

[1] إسماعيل خلباص وا إحسان ناصر حسين:"النقد الثقافي (مفهومه- منهجه- إجراءاته)، ص12.

[2] - صلاح قنصوة: "تمارين في النقد الثقافي"، دار ميريث،القاهرة،ط1، 2007م، ص5.

[3] - عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط3، 2005م، ص63.

1- الوظيفة النسقية: حيث أضاف العنصر السابع كما قلنا إلى عناصر الخطاطة التواصلية الستة، التي حددها(جاكبسون) وهو العنصر النسقي في هذا الإجراء سنكسب اللغة وظيفة سابعة وهي الوظيفة النسقية"[1].

2- المجاز الكلي: "المجاز هو الأساس المبدئي في الفعل النصوصي وله قيمة ثقافية، وليس قيمة بلاغية/ جمالية والمفهوم البلاغي للمجاز يدور حول الاستعمال المفرد للفظة المفردة وا إذا زاد فعن الجملة، وهو ما يسمى بالمركب، ولا يتجاوز ذلك إلى الخطاب"[2].

3- التورية الثقافية: ويعنى بها "حدوث ازدواج دلالي أحد طرفيه عميق ومضمر وهو أكثر فاعلية وتأثيرا من ذلك الوعي، وهو طرف دلالي ليس فرديا ولا جزئيا إنما هو نسق كلي ينتظم مجاميع من الخطابات والسلوكيات، الذوات الفاعلة والمفتعلة وهذا هو المدلول الأشمل لمصطلح التورية الثقافية"[3].

4- الدلالة النسقية:هناك دلالتان تشكلان المفهوم المحوري للتميز النقدي الأدبي وهما الدلالة الصريحة وترتبط بالشرط النحوي وبالشروط ووظيفتها نفعية/توصيلية والدلالة الضمنية وترتبط بالوظيفة الجمالية للغة، ويقترح الغذامي نوعا ثالثا وهو الدلالة النسقية التي ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكيل التدريجي إلى أن أصبح فاعلا، وبسبب نشوئه تمكن من التغلغل عبر الملحوظ ويظل كامنا هناك في أعماق الخطابات, وظل يتنقل ما بين اللغة، الذهن البشري فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي"[4].

5- الجملة النوعية(الجملة الثقافية):يرى الغذامي أنه" إذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية، والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية، فلا بد من تصور خاص

---

[1]- عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"،ص64، 65.

[2]- عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط3، 2005م، ص67، 68.

[3]- المرجع نفسه،ص 71.

[4]- المرجع نفسه،ص71، 72.

يسمح للدلالة النسقية بأن تتولد وهو أن ما نسميه بالجملة الثقافية. بحيث نميز تمييزا جوهريا بين هذه الأنواع من حيث أن الجملة الثقافية مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة"[1].

6- المؤلف المزدوج: "في كل ما نقرأ وما ننتج وما نستهلك هناك مؤلفين اثنين أحدهما المؤلف المعهود، مهما تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني والنموذجي والفعلي والآخر هو الثقافة ذاتها"[2]، التي يسميها الغذامي بالمؤلف المضمر، وهو نوع من المؤلف النسقي.

** ومن هذا المنظور فإن النقد الثقافي محاولة تختلف في أسسها وفي إجراءاتها عن محاولات النقد الأدبي، في قراءتها للنصوص، "فالنقد ينطلق من منطلق منهجي يستند في إنشائه إلى تحليل علمي للأنساق الاجتماعية الحاكمة"[3]. والثقافة شرط مهم وضروري من شروط الناقد الحقيقي كما أنها مفهوم واسع وعام غير محدد، لأنه مرتبط بنسق متحول بطبيعة الاختلاف.والغذامي يرى أن النقد الأدبي غير مؤهل للكشف عن هذه الأنساق المضمرة والتعرف على أساليب الهيمنة، وهذا يكون من خلال القراءة الثقافية للمعنى العميق، وبالتورية الثقافية ينكشف لنا التداخل بين النص الثقافي فالنص جامل للثقافة، ذلك لا يكتفي بالقراءة السطحية، فلا بد من التعمق المعني الخفي من خلال البيئة الظاهرة، فهو نقد تأويلي للخطاب.

<u>التمييز بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي:</u>

لخص الدكتور*سمير خليل*الفروقات بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي مبينا ذلك في النقاط التالية:

---

[1]- عبد الله الغذامي: "النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،ص73.

[2]-عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط3، 2005م، ص75.

[3]- ينظر عبد الله الغذامي: "الممارسات النقدية الثقافية"، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن،ط1 2003م،ص93.

- "الخطاب في النقد الثقافي يكون جماهيريا ومقبولا ومستهلكا، على الأغلب بينما الدراسات الثقافية لا تميز هذا عن ذلك، فقد يكون الخطاب نخبويا وليس جماهيريا، ولكنها تفوضه وترفض سياقاته وأنظمته بقوة.

– النقد الثقافي يتعامل مع نسق مضمر ما ورائي لا يظهر على سطح النص أو الخطاب،

بينما الدراسات الثقافية تهتم مع ظواهر ثقافية لها حضور على الخطاب، ومنها ما ورائية منسجمة مع السياق الثقافي الكامن في الخطاب.

– هناك تشابه بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية، في مواجهة الخطابات المؤسساتية وتفكيكها، وتهتم بالمهمل والمهمش والمقصي في الخطاب.

– في النقد الثقافي هناك أدوات شبه إجرائية للبحث عن النسق المضمر والعيوب النسقية لخصها الغذامي بالجملة الثقافية والتورية الثقافية وغيرها، وهذه لا وجود لها في الدراسات الثقافية.

– تهتم الدراسات الثقافية بالسياقات المنتجة، وأبعادها المعرفية والفلسفية والاجتماعية والتاريخية، بينما النقد لا يشتغل بذلك كثيرا.

–التاريخ في النقد الثقافي في حالة متجددة ممتدة من الماضي إلى الحاضر وليس مجرد حقائق ووقائع جامدة"[1].

وبهذا فالنقد الثقافي ليسهو الدراسات الثقافية، وا ِن كان كل منهما يمثل حقلا معرفيا أو تصورا لمقاربة الأعمال الإبداعية، ذلك أن الدراسات الثقافية أعم وأشمل من النقد الثقافي الذي أخذ المفاهيم منها، كما أن الفرق منهجي بينهما واضح، وهو أن الدراسات الثقافية تعمل على الظواهر المعلنة، بينما النقد الثقافي فهو النبش عن المضمر، وبهذا يعد النسق

[1]- سمير خليل:"دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي"، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص166، 167.

المضمر أهم المفردات التي يقوم عليها حقل النقد الثقافي. حيث تهتم الدراسات الثقافية بتحليل النصوص، والتركيز على المعنى الذي تولده هذه النصوص من خلال دراسة شكلها وبنيتها وسياقاتها المختلفة، وهذاما يجعل الدر اسات الثقافية، دراسة منفتحة وفضفاضة، لأنها تستفيد من مناهج ومقاربات متعددة.

2-مفهوم الأنساق المضمرة:

الأنساق الثقافية:" يعد النسق الثقافي من أكثر المفاهيم استعمالا لدى النقاد الثقافيين، وعلى الرغم من كثرة استخدامه، إلا أنه غير واضح المعالم، ولقد أشار *محمد مفتاح*إلى هذه الإشكالية حينما حاول تعريف النسق بمعناه العام فقد ذكر أنه له أكثر من عشرين تعريفا وقد خلص إلى أنه مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميزات خاصة بها، كاشتراك العناصر واختلافها، ووجود بنية داخلية ظاهرة وحدود مستقرة لدى الباحثين، إضافة إلى قبول المجتمع لهذا النسق، ويمكن القول إن عبد الله الغذامي من أوائل النقاد العرب الذين قدموا توصيفا نظريا للنسق الثقافي اعتمادا على وظيفتها التي تتحدد بتعارض نسقين أو نظامين من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر"[1].

**ومن هنا فإننا نحسب أن هذا المصطلح يحتل مكانة الصدارة في الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ومن ثم فالنسق الثقافي هو واحد من الاهتمامات التي تستحوذ على النقاد الثقافيين كما يلاحظ الناقد الأمريكي فنست- ب-ليتش(vincentB. Leitch) نفسه بين مفهوم الثقافة (culture) ومفهوم المجتمع(society) فالثقافة من منظوره هي كلية متخيلة مختلفة، وكيان مشكل وهي بذلك توحي بأن التقنيات(التنظيمات الإنسانية) تصنيفات اعتباطية وقابلة للتحول في الماضي والحاضر وفي المقابل فإن مفهوم المجتمع يحيل إلى ضرب من التنظيمات التي تتسم بالثبات والحتمية.

[1]- نزار جبريل السعودي:"تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة"مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلد 14، العدد2، 2017م، ص216.

وقد استخدم(روبرت شولز) مصطلح النسق الثقافي في سياق تشييده على ضرورة قراءة النص في علاقته بالأنساق الثقافية للقيم وهو يعني بذلك مفهوم الايديولوجيا كما يقول.

– أما النسق الثقافي عند(غيتش) فهو مفهوم الأنساق الثقافية إلى جانب شبكة واسعة من المؤسسات والممارسات والأفعال والتمثيلات، كما أنه يتجاوز طابع الرسوخ والثبات والتماسك

والتناغم الذي يميز(الأنساق الثقافية) فهذه الأنظمة هي حركة دائمة من التشكل والتحول المستمرين"[1].

* مفهوم مصطلح الأنساق الثقافية يتكون من كلمتين هما:النسق والثقافة، فلا بد من معرفة النسق لغة واصطلاحا.

*" يجري استخدام كلمة النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص، وتشيع الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان عليه نظام واحد"[2].

تعريف النسق لغة(system):جاء النسق في*المنجد في اللغة والأدب والعلوم*حول مادة "نسق"مايلي:"نسق- نسق الدر ونحوه:نظمه. و- الكلام. عطف بعضه على بعض ورتبه. نسق الشيء:نظمه. ناسق بينهما:تابع. أنسق الرجل:تكلم سجعا. تنسق وتناسق وانتسقت الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض. يقال << تناسق كلامه >> أي جاء على نسق ونظام. فهو متناسق. مص/ حروف النسق:حروف العطف. يقال<< هذا نسق على هذا>>أي معطوف عليه. النسق:ما كان على طريقة نظام واحد من كل شيء. يقال<< جاء القوم وجاءت الخيل نسق>> و<<غرست النخل نسقا>> و<<هذا در نسق والكلام نسق وثغر نسق>>/ حروف النسق:حروف العطف النسق:ما كان منسوبا منظما"[3].

---

[1]- سمير خليل:"دليل المصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي"،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1971م،ص295.

[2]- عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المملكة العربية،الدار البيضاء،ط3، 2005م،ص76.

[3]- المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص806.

اصطلاحا: شكلت قضية النسق-كمصطلح-جزءا مهما من أعمال*فرديناند دي سوسير*اللغوية (نظرية النسق اللغوي) التي يرى فيها النسق هو "تلك العناصر اللسانية التي تكتسب

قيمتها بعلاقاتها فيما بينها، لا مستقلة عن بعضها"[1].

– عرفه "إيديث كريزويل" أنه "نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدا وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"[2].

– عرفه "تالكوت بارستونز" بأنه "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الركوز المشتركة والمقررة ثقافيا، في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق من مفهوم البناء"[3].

– يعرف "محمد مفتاح" النسق حيث يقول:" مهما اختلفت تعريفات النسق فإنه ما كان مؤلفا من جملة عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها، وتتعالق لتكون تنظيما هادفا إلى غاية وهذا التحديد يؤدي إلى نتائج عديدة"[4].

** يمكن دراسة الأنساق وتقسيمها على وفق وجودها وأثرها في المجتمع ولا يمكن دراستها دراسة نظرية تجريدية إذ إن النسق أو الأنساق كنظرية لا تنبثق وتنطلق حسب رأي(لومان) من قيم مسبقة، طبيعية كانت أم أخلاقية من خارج النسق، بل تنطلق من معايير الحكم على الفعل الإنساني تصاغ بمجملها داخل المجتمع ذاته.

ومن سمات النسق أنه يتصف بميزة التشجير أو التفريع أي قدرته على التناسل النسقي بأن يتشجر عن النسق الرئيس، بأن يكون قادرا على الانتظار والتفرع.

---

[1]- مرسل خلف الدواس:"النسق المضمر في الرواية القطرية"، ص10.

[2]- إيديث كريزويل: "عنصر البنيوية"،تر:جابر عصفور، دار السعادة إصباح، ط1، الكويت، 1993م، ص415.

[3]- عبد الله إبراهيم وآخرون:"معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة"، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 1986م، ص6.

[4]- محمد مفتاح: "النص من القراءة إلى التنظير"، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص49.

إن إمكانية التوالد تمنح النسق القدرة على أن يتكرر بداخل نفسه من الممكن أن ينشأ مجددا في كل نسق جزئي أربعة أنساق:فمثلا نسق السياسة يمكن أن يتفرع منه نسق اجتماعي ونسق اقتصادي، ونسق فكري،وهذه التفرعات ناتجة منه ومنبثقة عنه، وليست انزياحا جانبيا.

وهكذا هو الحال في بقية الأنساق قطعا وفق قوة النسق وقدرته على خلق وتوليد هذا الانتشار وتوليد تفرعاته.

"ولم يكن الأدب صاحب الريادة في اتخاذ النسق أو النظام منهج عمل له فقد كان التصنيف (النسق أو النظام)أنه لكل فصيلة ميزاتها، وخصائصها التي تتفرد عن غيرها، ثم بعد ذلك اتخذ هذا المنهج (النسق أو النظام أو التصنيف) الأدباء الذين رتبوا الأعمال في طبقات، وصنفوها في فصائل حسب خصائصها الأدبية"[1].

وحتى نفهم كيف نشأ في المجتمع فلا بد من معرفة مفهوم الثقافة وأثرها في الأنساق الثقافية.

مفهوم الثقافة:

عرفها"محمد عبد المطلب" بأنها "الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء أكانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة، أمما فيها إلى آخر. هذه الإضافات التي لا تكاد تتوقف بل إن هذه الإضافة الخارجية تضمن قائمة العادات والتقاليد والمهارات والإبداعات الداخلية بمعنى أنها تتعلق بما هو عزيزي وفطري وبيولوجي في الكائن البشري"[2].

عرفها "فيصل الدراج" معنى الثقافة في الزمن الحديث لا يتحقق إلا في مجتمع بمعنى أفراد حقهم في الوجود وحريتهم في الرفض، والقبول والمحاكمة أي في مجتمع جديد ينتقل

[1]- مرسل خلف الدواس:"النسق المضمر في الرواية القطرية"، ص10، 11.

[2]- محمد عبد المطلب:"النقد الأدبي الهيئة العامة لقصور الثقافة"، دار القاهرة، ط1، 2003م، ص9.

فيه(الناس) من وضع أقنعة بشرية إلى وضع ذوات حرة لها خصائصها المميزة لها عن غيرها"[1].

وصف"ويليامز"الثقافة فهي في محليتها المقصودة على سياقها الذاتي وفي زمنها التاريخي بأنها" اسم يحدد سيرورة عامة تخص تشكلات سبل الحياة، ووسائطها وهذا هو المنظور الأول

أما الثاني: فسيرورة ذاتية داخلية تخص الحياة النخبوية، والفنون وقد نهض هذا المفهوم بدور حاسم في تحديد العلوم الإنسانية والاجتماعية. وتعريفها حيث أنها تلعب دورا مهما في التعريف بالفنون والإنسانيات"[2].

– عرفها"مالك بن نبي" بأنها مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا بالعلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه إذ المحيط الذي يشكك فيه طباعه وشخصيته"[3].

- يعرفها الإنجليزي "ادوارد تايلور" عند الغرب "بأنها كل مركب يشمل على معرفة المعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرب وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"[4].

** نفهم من هذا أن **الثقافة** مرتبطة بحياة البشر في مجتمعاتهم كالأخلاق والعادات والتقاليد وتنشأ هذه الثقافة نتيجة التواصل والتفاعل اليومي بينهم.

---

[1]- فيصل الدراج: "نظرية الرواية العربية"، المركز الثقافي العربي، ط2، 2002م، ص14.

[2]- محمد لافي الشمري:"جهود الغذامي في النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق"، رسالة ماجستير، إشراف حامد كساب عياط 2000م، ص14.

[3]- مالك بن نبي:"مشكلة الثقافة فصل الحرفية في الثقافة"، تر:عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ط2، 2000م، ص76، 77.

[4]- ميشل تومس وآخرون: "نظرية الثقافة"، تر: علي الصاوي، مج الفاروق يونس، عالم المعرفة، الكويت، 1997م، ص8.

** ف**الثقافة** إذن هي نتاج تفاعلات بين الأشخاص والتجاور في حياتهم اليومية ولكل مجتمع ثقافته وكل ثقافة تحمل أنساق جمالية تختفي وراءها أنساق مضمرة والثقافة أنواع: اجتماعية، سياسية، تاريخية، دينية.

تعريف الأنساق المضمرة:

تعريف المضمر:ينتمي هذا المصطلح إلى الجذر اللغوي(ضمر). ومن معانيه التي وردت في(لسان العرب)

الضعف والهزال. السر والخفاء، الدقة والغياب بالموت والسفر. ويقولون جمل ضامر، وناقة ضمار، والضمر من الرجال: الضامر البطن والأنثى ضمرة، والضمير:السر والداخل هو الشيء الذي تخفيه في قلبك"[1].

تعريف النسق المضمر:عند تركيب مصطلحي النسق والمضمر يتكون مفهوم(النسق المضمر)، ومن أبرز ما يتصف به النسق أنه يحتوي على أفكار ودلالات فيها إيحاءات وا ٍضمار، "ولكنها منكتبة منغرسة في الخطاب ومؤلفتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير، والنساء مع الرجال، والمهمس مع المسود"[2].

" يأتي مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة، وتتوسل لهذه الهيمنة غير التخفي وراء أقنعة سميكة وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء وتحت كل ما هو جمالي هناك مضمر نسقي. لكن تظل الأنساق فاعلة

[1]- ابن منظور:"لسان العرب" (مادة ضمر).

[2]- محمد الغذامي:"النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المملكة المغربية،الدار البيضاء،ط3، 2005م، ص79.

ومؤثرة ومستديمة من تحت القناع"[1]. والفرق بين النسق المضمر والنسق الثقافي "هو أن كل خطاب يحمل نسقين أحدهما ظاهر واع(ثقافي) والآخر مضمر(نسقي) وهذا يشمل كل أنواع الخطاب الأدبي منها وغير الأدبي، غير أنه في الأدبي أخطر لأنه يقتنع بالجمالي والبلاغي لتمرير نفسه وتمكين فعله في التكوين الثقافي للذات الثقافية للأمة"[2].

وهذه **شروط أربعة** حددها الغذامي في كتابه*النقد الثقافي*إذا ما توفرت نكون أمام حالة من حالات الوظيفة النسقية:

1-" وجود نسقين يحدثان معا وفي مكان آن، في نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد.

2- يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد.

3- لا بد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وا ٍدامتها.

4- ولا بد أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة، وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي"[3].

مفهوم النسق الثقافي: النسق الثقافي هو" تنظيم صورة واضحة للعلاقات الاجتماعية ضمن ثقافة محددة، كما نشير في هذا السياق إلى العلاقة الوثيقة بين النسق الثقافي، والنسق الاجتماعي وكأنهما وجهان لعملة واحدة. ويعرف النسق الاجتماعي بأنه منظومة من الأفعال والتفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلات متبادلة"[4].

---

[1]- سمير خليل:"دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي"، ص293.

[2]- سمير خليل:"دليل مصطلحات الدراسة الثقافية والنقد الثقافي"، ص293.

[3]- عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،المملكة المغربية،الدار البيضاء،ط3، 2005م،ص78.

[4]- مرسل خلف الدواس:"النسق المضمر في الرواية القطرية"، ص13.

– النسق الثقافي" هو نسق معرفي اجتماعي فكري يحمل كل ما تفرزه الثقافة في النص أو الخطاب وله حضور"[1].

– النسق الثقافي هو تجسيد لسيطرة أصحاب القوة من خلال موقعه المركزي بين أنساق الفعل الأخرى فهو يمثل المحتوى الحقيقي بوحدات النسق الاجتماعي فهو الرابط بين نسقين ولذلك يسميه(بارسونز) نمط التماسك"[2].

** في الأخير **نخلص** أن النسق هو" نسق السلطة والقوة وامتلاك النسق هو تحكم في مفاصل المجتمع والفاعلين الاجتماعيين وتحقيق لمفهوم التوازن والاستقرار"[3].

النسق الثقافي:إذن يتشكل نتيجة حقلين أساسيين هما حقل النقد وحقل الانثروبولوجيا وهي دراسة تجمع عددا من المناهج أي لكل مجتمع قوانينه الخاصة يضعها الإنسان من أجل ضبط أموره في الحياة.

" تحليل الأنساق الثقافية يمر ضمن مسارات الشرح والتفسير والفهم، فمن خلال هذه اللحظات الثلاث يمكننا ضبط الأنساق وتحليلها، فيكون الشرح هو عملية القراءة الأولى التي يتذوق النص فيها، في كليته شكلا ومضمونا لتحديد الموضوعات وشرحها والنظر إلى بنائها، ثم يأتي التفسير الذي يتضمن معنى التأويل، أي تأويل المعنى وتقصيه من داخل الموضوعات المحددة سلفا، والحفر في المعنى في مرحلة الفهم بربط النص بسياقاته المتعددة وتنزيله فيها"[4].

---

[1]- سمير خليل:"دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي"، ص294.

[2]- وليد خضور:"الأنساق الثقافية في الرواية النسوية"رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة، ص52.

[3]- المرجع نفسه، ص53.

[4]- وليد خضور:"الأنساق الثقافية في الرواية النسوية"رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة، ص56.

الفصل الأول

الأنساق المضمرة: نحو وعي نقدي جديد بقراءة ثقافية للنص

الفصل الأول

الأنساق المضمرة: نحو وعي نقدي جديد بقراءة ثقافية للنص

أولا: النسق

1- الدلالة اللغوية

2- الدلالة الاصطلاحية

3- النسق من منظور المناهج النقدية

ثانيا: النسق المضمر

1- مفهوم النسق المضمر

2- شروط النسق المضمر

3- خصائص النسق المضمر

4- أنواع النسق المضمر

أ- الأنساق الأصول

ب- الأنساق الهامشية

أولا:النسق

1- الدلالة اللغوية: ورد في قاموس المنجد في اللغة ما يلي: نسق-نسق الدر ونحوه:نظمه/ و-الكلام. عطف بعضه على بعض ورتبه. نسق الشيء:نظمه. ناسق بينهما:تابع. أنسق الرجل. تكلم سجعا. تنسق وتناسق وانتسقت الأشياء:انتظم بعضها إلى بعض. يقال<< تناسق كلامه>> أي جاء على نسق ونظام. فهومتناسق. النسق:مص/حروف النسق:حروف العطف يقال<< هذا نسق على هذا >> أي معطوف عليه:النسق:ما كان على طريقة نظام واحد من كل شيء. يقال<< جاء القوم وجاءت الخيل نسق>>و<<غرست النخل نسق>>و<< هذا در نسق وكلام نسق وثغر نسق>> حروف النسق:حروف العطف. النسق:ما كان منسوق. منظما"[1].

** ومنه **نخلص** إلى أن:كلمة النسق مرتبطة ارتباطا وثيقا بكلمة" نظام" وذلك" لاشتراكهما في الصفات العامة التي تفيد الضم والجمع والعطف في هيئة مستقيمة أو حسنة، غير أن النسق أعم من النظام، فالنسق كمفهوم يمتد في اللغة وفي وضعيتها في أي خطاب كان، بينما يكاد النظام يختص بشكل أو بمادة معينة"[2].

وفي **الأخير** يتضح لنا ومما سبق ذكره أن النسق متعلق بالترتيب والتنظيم، والنسق هو الكلام المنظم والمرتب على نظام واحد.

<u>الدلالة الاصطلاحية:</u> لا يمكننا أن نسمي شيئا بالنسق إلا عندما" نريد أن نعبر عن أن الشيء يدرك باعتباره مكونا من مجموعة من العناصر أو مجموعة من الأجزاء يترابط بعضها ببعض حسب مبدأ مميز"[3].

---

[1]-المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص806.

[2]-محمد ولد عبدي:"السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية"(الشعر نموذجا)، مقاربة نسقية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009م،ص13.

[3]-محمد مفتاح:"التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية" ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1، 1996م،ص48

**ومن خلال هذا التعريف جمع"محمد مفتاح" في كتابه*التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية* مجموعة من الخصائص التي تميز النسق والتي تمثلت في:

1-" حدود قارة نسبيا يمكن التعرف بها.

2- بنية داخلية متكونة من عدة عناصر منتظمة وتحيل على نفسها.

3- نسق الخطاب عضوي مفتوح متغير ومتحول ومتوجه نحو التعقيد الذاتي، عليه أنه يحافظ على ثابت أو ثوابت.

4- كلما كثر حذف عناصرهقل تأثيره وا ٍقناعه.

5-يشبع حاجات اجتماعية لا يشبعها نسق غيره"[1].

من خلال هذه الخصائص يؤكد"محمد مفتاح" كذلك أن" الخطاب(النص)نسق لأنه بمثابة لعبة شطرنج تخضع عناصرها(بيادقها) للتسخير وعمليات اللعب(التأليف) للتحليل والتركيب"[2]وانطلاقا من هذه الفكرة يصل إلى أن" النسق اللغوي أو الخطابي منفتح بالضرورة لأنه مرتبط بتحولات المجتمع وبحاجاته المتغيرة. ولذلك كلما راعى المنتج للخطاب مقامات الخطاب كان أقرب إلى الإقناع وا ٍلى الامتناع، فالنسق اللغوي إذن منغلق ومنفتح في آن"[3].

وقد ذهب"محمد مفتاح"في بحثه عن النواة الموجهة للثقافة المغربية بما فيها من علوم شرعية وعقلية وأدبية إلى" اعتبار الأدب نسقا فرعيا من نسق مجتمعي عام واعتماده المقايسة لإثبات العلامة بين الأنساق"[4].

[1]- المرجع نفسه،ص3.

[2]- المرجع نفسه،ص48

[3]- المرجع نفسه،ص48

[4]- محمد مفتاح:" التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية"،ص158.

ويقرر"محمد مفتاح" في الأخير أنه لا يوجد تحديد متفق عليه للنسق،إلا أنها ستخلص الأشياء والفكرة الجوهرية المشتركة بين هذه التحديات وهي" أن النسق مكون من مجموعة من الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر"[1].

** ومن خلال هذا التعريف يصل إلى أن" التحليل النسقي، مع إعطائه صيرورة تاريخية غير مقطوعة، ضروري لإدراك أنساق الثقافة المعرفية ككل،والنسق الأدبي بصفة خاصة،وعقليتها وتجنب بعض الهفوات التي ربما وقع فيها المؤرخون للآداب والفلسفة والتصوف. . . "[2]. كما يؤكد أن التحليل أو" المقاربة النسقية لا تستقيم إلا بنيت على فرضيات عمل توجهها وتضبط مسارها وغايتها الكبرى،وغايتها الصغرى"[3].

* يرى" جمال بن دحمان" أن" النسق عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة،إذ يتكون كل نسق من:

- عناصر جزئية- عناصر متعالقة.

- كليات موحدة للعناصر الجزئية"[4].

هذا معناه أن النسق يحتوي على أنساق صغرى تكمله وتحيل عليه، وهذا ما يؤكد أن:

-" كل نسق يتكون من أنساق صغرى متفاعلة وغير مستقلة استقلالا كليا.

– تخضع كل مجموعة لتغذيات عميقة أو سطحية باختلاف الأزمنة، مما يضمن لها نوعا من الاستمرارية.

---

[1]- المرجع نفسه،ص158، 159.

[2]- محمد مفتاح: "النص من القراءة إلى التنظير"،شركة النشر والتوزيع،المدارس،الدار البيضاء،ط1، 2000م،ص49، 50.

[3]- المرجع نفسه،ص50.

[4]- جمال بن دحمان: "الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري-التشعب والانسجام-رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 2011م ص210.

– يدخل كل نسق في علاقة مع محيط يتبادل معه التأثير"[1].

** **النسق الداخلي** هو "التنظيم الذاتي الذي يشتمل عليه الأثر إلى جانب التفاعلات الموجهة نحو وحداته الذاتية، أي التنظيم الذي ينطوي على اتجاهات وعلاقات الوحدات الشكلية أو اللغوية، وعلاقات هذه الوحدات بعضها ببعض"[2].

** **النسق الخارجي** للنص هو" بنية الوسط الذي ظهر فيه، والذي يتلقى منه عددا من المؤثرات المباشرة، وتظهر في طريقة تصوير النص للعالم الخارجي"[3]. يؤكد"بن دحمان" على أن" أنواع الأنساق أربعة، وبهذا نظيف إلى النوعين السابقين (نسق مغلق، ونسق مفتوح)النسق شبه المغلق والنسق شبه المفتوح"[4].

* ومما يستدعي أن نشير إليه، هو أن مصطلح النسق يختلف مفهومه من خلال مجال إلى آخر، فكما يوجد نسق لغوي ونسق أدبي يوجد أيضا نسق اجتماعي ونسق سياسي ونسق ثقافي. . . وعلى سبيل المثال لا الحصر، أكد عالم الاجتماع الألماني" نيكولاس لومان" (1927- 1998) على التمييز بين النسق والبيئة[. . . .]، واستنادا إلى هذه الرؤية يمكننا تحليل كيفية قيام الأنساق وكيفية تغيرها بالنسبة للبيئة المتغيرة باستمرار، إذ نحن أمام نسق متغير وبيئة متغيرة باستمرار"[5].

الخلاصة من هذا كله نخلص أنه لا توجد اختلافات واضحة بين المفاهيم الخاصة بالنسق فقد تمحورت كلها حول العناصر والأجزاء الداخلية المكونة لبنية ما، على أن تكون هناك

---

[1]- جمال بن دحمان:"الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري- التشعب والانسجام- رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م، ص211.

[2]- سمير حجازي:"النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة(دراسة لغوية تحليلية)، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية القاهرة، 2004م، ص113.

[3]- المرجع نفسه، ص110، 111.

[4]- جمال بن دحمان:"الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري"، ص215.

[5]- نكلاس لومان: "مدخل إلى نظرية الأنساق"، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2010م، ص7.

علاقات تداخل وترابط وتنظيم وانسجام بين هذه العناصر.

3- النسق من منظور المناهج النقدية:

ورد مصطلح النسق عدة مرات في محاضرات "دوسوسير" وهذا ما أكد عليه" أحمد يوسف" من خلال كتابه*القراءة النسقية*إلى درجة أنه"كان يمثل المحور الجوهري في نظريته، فاللغة -في تصوره- نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص، وهي نسق سيميائي يقوم على اعتباطية العلامات، ولا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل"[1].

– هذا ما يؤكد أن اللسانيات المعاصرة وظفت اللغة على أنها "نسق سيميائي دال يتجلى في قابليته إلى التقطيع المزدوج على خلاف الأنظمة السيميائية الأخرى، حيث حدد اللسانيون مستويات النسق اللساني فيما يلي:

1- الوحدة الصوتية الصغرى(الفونيم).

2- الوحدة الصرفية الصغرى(المورفيم).

3- الوحدة التركيبية الصغرى(السانتاكس).

4- الوحدة المعجمية الصغرى(الليكسم).

إن ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها، ويربط بعضها ببعض هو ما يطلق عليه النسق"[2].

هذه العناصر إذن، يجب أن يربط بينها اتساق وانسجام وترتيب حتى تسمى بالنسق فإذا اختلت العلاقة بين هذه العناصر اختل النسق وفقد نسقيته.

[1]- أحمد يوسف:"القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة"، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2007م، ص117.

[2]- المرجع نفسه، ص117.

إن الدراسات اللسانية تطرقت إلى مفهوم النسق كثيرا، ولكن أي نسق؟هل هو النسق اللغوي أم النسق الأدبي؟.

أجمع أغلبية الدارسين في مجال الدراسات اللسانية على أن:إدخال مبدأ النسق حيز الدراسات الأدبية كان للشكلانيين الروس سبق فيه، حيث "صادف الشكلانيون عبر التاريخ الأدبي تلك العناصر التي استكشفوها تتكرر تكريرا مطردا مما شجعهم على القول بنسقية الأدب فهو شكل مستقل عن كل ما خارج الأدب"[1].

من هذا كله نجد أن الدراسات اللسانية لم تخرج -في تطبيقها- عن النسق اللغوي، إلى أن جاءت المدرسة الشكلانية، هاته الأخيرة التي أخرجت النسق من الحقل اللغوي إلى الحقل الأدبي. ومن أبرز الشكلانيين الذين اهتموا بالنسق نجد "تنيانوف" و" إيخنباوم"، إذ أوقفا جهودهما على بناء صرح للنسق داخل الدراسات النقدية، واعتبرا أن النسق هو وحده الكفيل بالدراسة وأن كل ما هو خارج عن هذا النسق لا يستحق الدراسة وغير جدير بالاهتمام، فالنسق إذن –إيخنباوم وتينيانوف- ضرورة لا بد منها لدراسة الأدب، وبهذا يقرر الشكلانيون بأن الأثر الأدبي أولا وقبل كل شيء ذو طبيعة نسقية. أما بخصوص "حلقة براغ"، فقد حاولت اكتشاف القوانين التي تحكم بنية النسق اللساني والقوانين التي تحكم تطوره أيضا كما اشترط منظروها" أن تتوافر اللغة الشعرية على إمكانات النسق اللساني حتى تتسنى مقاربة مكوناتها الصوتية"[2].

وقد امتدت تأثيرات"حلقة براغ" إلى المناهج النقدية التي جاءت بعدها، وخاصة المفاهيم والتصورات التي شكلتها حول مفهوم النسق ساهمت هي الأخرى إلى جانب اللسانيات والمدرسة الشكلانية في تطوير وبلورة هذا المصطلح. ومن بين هذه المناهج، المنهج البنيوي الذي كان يولي أهمية بالغة لمصطلح" النسق". إذ كان ينظر إليه على أنه" مجموعة

[1]- أحمد يوسف:"القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة"، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2007م،ص125.

[2]- المرجع نفسه، ص130.

/القوانين والقواعد العامة التي تحكم الكلام الفردي. وتمكنه من أن يكون ذا دلالة، ومن دون هذا النسق يصبح الكلام أصواتا بلا دلالة"[1]. وهنا يصبح مقابلا لمفهوم "النظام"، فهو ضرورة من ضروريات الكلام، وبدونه يختل المعنى، وتلبس الدلالة.

حاول البنيويون ومن هذا المنطلق دراسة الأعمال الأدبية لاستخلاص القوانين العامة التي تحكمها، أي من "دراسة هذه الأنساق الفردية يستخلصون نسقا عاما أو نظاما كليا"[2]. بمعنى آخر دراسة الأنساق الصغرى، لاستخلاص النسق الأكبر الذي يحكم هذه الأنساق، إذ إن الحكم الذي راود البنيويين طويلا، هو استخلاص أو إيجاد نسق كلي يحكم ظاهرة الكلام ككل. ففي ظل تزايد الاهتمام بمفهوم النسق تطورت الدراسات السردية، حيث "انطلقت من مورفولوجية بروب، وترسخت على يدي كلود بريمون وغريماس و جيرار جينات وتزيفطان تدوروف وغيرهم"[3]. كما اشترطت البنيوية أن يكون القارئ متمرسا. "يملك آليات التحليل حتى يستطيع أن يحاور أنساق النص لإنتاج الدلالة"[4]. وهاته الدلالة لا تتحقق إلا بوجود النسق.

** فلب المنهج البنيوي وجوهره هو "فكرة النظام أو النسق:النسق الذي يحكم العلاقة بين المكونات الصغرى للنص من ناحية، والنسق الأكبر الذي يحكم العلاقة بين النسق الفردي للنص والنسق العام للنوع"[5].

في كل الممارسات التي قامت بها المناهج أو المدارس النقدية السابقة اتسم النسق بالاتفاق بمعنى أنهم أقصوا كل المؤثرات والظروف الخارجية والملابسات المحيطة بالنص، سواء ما تعلق بالمجتمع وعاداته ومتغيراته، أو ما تعلق بالمبدع وظروفه النسقية

[1]- وليد قصاب:"مناهج النقد الأدبي الحديث(رواية إسلامية)،دار الفكر ،دمشق،سوريا،ط1، 2007م،ص125.

[2]- عبد العزيز حمودة:"المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك-"،عالم المعرفة(سلسلة كتب ثقافية، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، الكويت، 1998م، ص190.

[3]- أحمد يوسف:"القراءة النسقية"، ص133.

[4]- عبد الغني بارة:"إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر - مقاربة حوارية في الأصول المعرفية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص101.

[5]- عبد العزيز حمودة:"المرايا المحدبة"، ص191.

وقدراته الإبداعية وتوجهاته الفكرية أيضا، والمعنى في البيئة الداخلية للنص، معتقدين أنه لا وجود لشيء خارج النص، فالبنية مستقلة عن كل ما هو خارجي ومكتفية بذاتها. غير أن بوادر التحول والتغير بدأت تلوح مع" جوليا كرستيفا" فيما أسمته بالسيميائيات التحليلية [. . . .]، حيث شكلت في تلك العقيدة التي كانت ملاذ البنيويين، فحاولت أن تفتح أفقا جديدا داخل النسق نفسه"[1].

ومن هنا انتقل البحث من العلامات اللغوية إلى أفق أوسع وهو العلامات غير اللغوية، "فالمظاهر الثقافية غير اللسانية مفعمة بالدلالات"[2]. إضافة إلى أن مفهومها يتحدد" حسب النسق الثقافي الذي تمارس فيه من قبل جماعة إنسانية ما"[3]. وقد كانت هذه النقلة الأولى من نوعها في التخلص من قيود النسق المغلق والبحث عن آفاق أوسع في مجال الدراسات النقدية التي ظلت لفترة ليست قصيرة حبيسة اللغة، هاته الأخيرة التي درست لذاتها زمن أجل ذاتها. وبهذا تجاوزت السيميائية الممارسات المتعلقة بالنسق المغلق، وكذلك الأمر بالنسبة للنظريات التي جاءت بعدها، كالتفكيكية ونظرية القراءة، والتي فتح النسق من خلال ممارساتها على القدرة المعرفية والقرائية للقارئ.

---

[1]- أحمد يوسف:"القراءة النسقية"،ص140. نقلا عن kresteva,Semeiotike,recherches pour une Sem amalyse,Ed. Seuil,paris,1969,1,p218.

[2]- غريب محمد عيد:"علم لغة الحركة(بين التنظير والتطبيق)"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص112.

[3]- المرجع نفسه، ص113.

ثانيا:النسق المضمر:

1- مفهوم النسق المضمر: يرى"فنسنت- ب- ليتش"[1] أن هناك مجموعة من الافتراضات والتقاليد التي تحافظ عليها.

الثقافة غير الواعية في أغلب الأحيان، بل ومتعادية أيضا، وهي أهم صفة تميز الأنساق المضمرة، هذه الأخيرة التي تعد مفهوما مركزيا في مشروع النقد الثقافي، ويشير مفهوم النسق المضمر إلى أن "الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو [. . . .] الجمالية"[2]. بمعنى أن كل ما هو جمالي في الثقافة أو في الأدب يخفي وراءه أنساقا مهيمنة، "ويعمل الجمالي عمل التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت قناع"[3].

النسق الثقافي وبكل بساطة إذن هو: "مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيتيقية تفرضها في لحظة معينة من تطورها، الوضعية الاجتماعية، والتي يقبلها ضمنيا المؤلف وجمهوره"[4]. وفي هذا دليل على أن النسق ليس له بطبيعة الحال، وجود مستقل وثابت"[5].

في كتاب* تمثيلات الآخر*:صورة السود في المتخيل العربي الوسيط "لنادر كاظم" نجد أن نجد النسق الثقافي يجمع بين وظيفتين: "وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الإنسانية من جهة وبين وظيفة التأثير والتحكم في سلوك الآخرين من جهة أخرى"[6]. وهذا يدل على

---

[1]-ينظر:فنسنت- ب- ليتش: "النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات"، ص104.

[2]- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: "نقد ثقافي أم نقد أدبي"،دار الفكر المعاصر،دمشق،سوريا،ط1، 2004م، ص30.

[3]- المرجع نفسه، ص30.

[4]- عبد الفتاح كيليطو: "المقامات:السرد والأنساق الثقافية"، دار توبقال للنشر,الدار البيضاء،المغرب،ط2، 2001م،ص8.

[5]- المرجع نفسه،ص8.

[6]- نادر كاظم:"تمثيلات الآخر:صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط"،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2004م، ص95.

أن النسق الثقافي يفسر ويعلل" التجربة الإنسانية ويمنح ما هو فاقد للمعنى من حيث الأصل معنى، كما أنه يعد أن يكون كذلك ينقلب نسق مهيمنا، يتحكم في تصورات الأفراد وسلوكاتهم"[1].

نخلص إلى أن للنسق وظيفتين هما:الأولى تتمثل في فهم التجارب الإنسانية، إذ إنه"يقدم (معنى)للعالم وللحياة فيه"[2]. أما الوظيفة الثانية فهي قدرته على "التحكم في سلوكيات الأفراد في المجتمع الواحد، بحيث يكون الفرد محكوما بالتصرف وفق ما يمليه عليه النسق الثقافي، الذي يؤمن به"[3].

ومما سبق يتضح لنا أن **النسق المضمر** يحتل مكانة أساسية في الممارسات النقدية الثقافية، كما "يمثل عنصرا أساسيا للتحول النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى نقد البعد الثقافي، فالأمر يتعلق بقراءته وكشفه وطرح أسئلة لم تطرح حوله من قبل"[4].

النسق المضمر:لقد تمكن من" التغلغل غير الملحوظ وظل كامنا هناك في أعماق الخطابات وظل ينتقل ما بين اللغة والذهن البشري فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي"[5].

- ظل النقد الأدبي لمدة ليست قصيرة يشتغل على الخطاب الجمالي، غافلا عن كل ما هو نسقي ومضمر.

** مما سبق **أستخلص** أن النسق المضمر هو الركيزة الأساسية في مشروع النقد الثقافي ويقصد به تلك العيوب المضمرة والمتخفية خلف الخطابات الأدبية، والثقافية بصفة عامة،

---

[1] - المرجع نفسه،ص95.

[2] - نادر كاظم:"تمثيلات الآخر:صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2004م،ص96.

[3] - المرجع نفسه،ص97.

[4] - عائشةبومهراز:"نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي"، مجلة الناص،العدد9،كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة جيجل، الجزائر، أفريل 2010م،ص90.

[5] - عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"،ص72.

وقد ظل النقد الأدبي غافلا عن هذه الأنساق -قصدا أو من غير قصد- حتى جاء النقد الثقافي ليعلن عن ثورة نقدية جديدة أساسها" نقد الأنساق المضمرة".

2- شروط النسق المضمر:

يؤكد "الغذامي" على أنه لا بد أن تتوفر عدة شروط حتى يتحقق مفهوم النسق المضمر، هذه الشروط وجزها فيما يلي:

1-"وجود نسقين يحدثان معا وفي آن، في نص واحد، أو فيما هو في حكم النص الواحد"[1]. هذان النسقان هما: نسق ظاهر، وهو اهتمام النقد الأدبي، ونسق مضمر يختفي أو يتقنع وراء النسق الظاهر.

2-" ويكون المضمر نقيضا، وناسخا للمعلن"[2] شأنه شأن" التناقض القائم بين الكلام البين والكلام المضمر"[3].وإذا لم يتوفر النص على هذا النسق، فلن يكون هذا النص محل اهتمام بالنسبة للنقد الثقافي، هذا الأخير الذي تتمحور مهمته حول كشف الأنساق المضمرة.

3-" لابد أن يكون النص موضوع الفحص نصا جماليا، لأننا ندعي أن الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق"[4]، فإذا لم يتوفر النص على الجانب الجمالي فإنه لا يستحق الدراسة باعتبار أن الجمالية هي أخطر قناع للنسق المضمر.

4-" لا بد أن يكون النص ذا قبول جماهيري، ويحظى بمقروئية عريضة، وذلك لكي نرى ما لأنساق من فعل عمومي"[5].

---

[1]- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: "نقد ثقافي أم نقد أدبي"، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص32.

[2]- المرجع نفسه،ص32.

[3]- كاترين كيرات،أوريكيوني: "المضمر"، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، ص40.

[4]- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: "نقد ثقافي أم نقد أدبي"، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص32.

[5]- المرجع نفسه، ص32

وهذا من أجل" كشف حركة النسق وتغلغله في خلايا الفعل الاجتماعي"[1]. هذه هي الشروط الأربعة التي يجب أن تتوفر حتى يتحقق مفهوم النسق المضمر.

3- خصائص النسق المضمر:

طرح"عبد الله الغذامي" عدة أسئلة بغية تحديد السمات والمميزات التي تميز النسق عن غيره.

– ما النسق الثقافي. . . . . ؟

- وكيف نقرؤه. . . . . ؟

-وكيف نميزه عن سائر الأنساق. . . . . ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة يؤكد أن مفهوم النسق -من منظور النقد الثقافي- يكتسب قيما دلالية خاصة، ويقدم عدة خصائص تميزه عن غيره، هذه الخصائص نلخصها في:

1-" يتحدد النسق عبر وظيفة[. . .] والوظيفة النسقية لا تتحدث إلا في وضع محدد ومقيد"[2]. وهذا لا يتحقق إلا عندما تتوفر شروط النسق السابقة الذكر، أي "حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب [. . .] ويشترط في النص أن يكون جماليا، وأن يكون جماهيريا"[3]وإذا توافرت هذه الشروط في النص تحققت الوظيفة النسقية.

2- وهذا يتطلب هنا "أن النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة, قراءة من وجهة النقد الثقافي"[4]. هذه القراءة لا تعني بالجمالية فقط، بل تنطلق منه لكشف خباياه ومضمراته باعتباره القناع الأمثل الذي يختبئ خلفه أهم مضمرات الثقافة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص33.

[2]- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: "نقد ثقافي أم نقد أدبي"، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص77.

[3]- المرجع نفسه، ص 77.

[4]- المرجع نفسه، ص78

3- وهذه الدلالة المضمرة ليست من صنع المؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، ومؤلفتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراءة يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير، والنساء مع الرجال، والمهمش مع المسود"[1]. إضافة إلى هذا، نشير إلى أن النسق يتأسس على دلالات ثلاث: "النسخ(المحور التغيير) والتناسخ (الانتقال والارتحال)، والاستنساخ(التكرار)"[2].

4- في هذه الحالة، يكون النسق "ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما"[3].

وتعتبر البلاغة وجمالياتها أهم الأقنعة التي عبرها" تمر الأنساق آمنة ومطمئنة من تحت المظلة الوارفة وتعتبر الحقول والأزمنة فاعلة مؤثرة"[4]. في الوعي الفردي والجمعي الخاص بمجتمعات معينة.

5- هذه الأنساق الثقافية" أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما"[5]. وما يؤكد على هذا الطرح هو "اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر"[6]. وتعتبر القراءة الثقافية هي الوسيلة المثلى لكشف هذه الأنساق الثقافية التي ظلت مضمرة ومختفية من وراء الخطابات المختلفة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص79.

[2]- نادر كاظم: "تعارضات النقد الثقافي، ضمن كتاب عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص107.

[3]- عبد الله الغذامي:"النقد الثقافي"قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، بيروت، ط3، 2005م، ص79.

[4]- المرجع نفسه، ص79

[5]- المرجع نفسه، ص79.

[6]- المرجع نفسه، ص79

4- أنواع الأنساق: أ:الأنساق الأصول:

تعمل كلمة (الأصل)" كدال رمزي على منظومة من الصفات الجامدة التي تختبئ في المضمر"[1]. فإذا توفرت هذه الصفات تحققت دلالتها، "حيث هناك أصل ذهني يعمل كنموذج يقاس عليه، ويجري الالتزام بهذا الأصل والاحتكام إليه كدليل وموجه اجتماعي وسلوكي"[2]. جاء النقد الثقافي ليدرس مثل هذه القضايا" ويبحث في المضمرات النسقية التي تشتغل من داخل خطاباتنا دون أن نعيها"[3]. ويذكر" الغذامي"مثالا عن هذه الأصول النسقية في ثقافتنا العربية، وهو نسق (الشخصية الشعرية)،"هذه الصفة التي تتباهبها وتنسب إليها بحق وصدق"[4]. كما يؤكد على أن هناك عيوبا نسقية صعبت هذه الذات الشعرية، هذه العيوب التي لم يبذل أحد جهدا لكشفها، وإن كان على الوردي قد أدلى بالدلو في هذا الاتجاه"[5].

الأنساق الأصول هي تلك الأنساق المتحكمة في الوعي الجمعي الخاص بمجتمعات معينة وهي راسخة ومضمرة، ومختفية خلف قناع الجماليات، ولا يمكن كشفها إلا عن طريق التحليل الثقافي.

ب- الأنساق الهامشية:

هي ما اصطلح عليها "أنساق الرفض والمعارضة"[6]، والتي حاولت أن تقاوم جبروت الأنساق والأصول، وإن كانت مقاومتها ضعيفة. ومن الأمثلة التي تندرج تحت هذا النوع نجد" القصص المروية في حكايات الشعراء وأخبارهم، وهي قصص ليست حقيقية وهذا ما

---

[1]- المرجع نفسه، ص85

[2]- المرجع نفسه، ص85

[3]-المرجع نفسه، ص87.

[4]- عبد الله الغذامي: "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، لبنان، بيروت،ط3، 2005م، ص87.

[5]- المرجع نفسه,ص87.

[6]- ورد هذا المصطلح في كتاب "عبد الله الغذامي": النقد الثقافي،ص88.

يمنحها قيمة ثقافية، إذ أنها هي لسان حال الثقافة في الاعتراض والنقد ومحاولة التعرية[. . .] لوجدنا فيها أشياء توحي بمحاولة الثقافة مستعينة بالسرد لكي تتكلم عن الهامشي والمغفول عنه، وهناك سنجد الصوت الآخر"[1].

** من هذا كله نصل إلى التأكيد على الفكرة القائلة" إذا كانت الثقافة جسدا مركبا من الأنساق فلا بد لهذه الأنساق أن نتصارع، والحسن الفحولي في الثقافة الذي هو(المتن) الوجداني والعقلي لنا ولثقافتنا لا بد أن يندرج من تحته مضمر ثقافي يسعى بحياء أو ربما بمخاتلة لكي يشاغب المتن"[2]. وهنا تتشكل بما يعرف ثنائية الأنساق الأصول والأنساق الهامشية.

[1]- المرجع نفسه، ص88

[2]-عبد الله الغذامي: "تأنيث القصيدة والقارئ المختلف"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2005م(المقدمة).

الفصل الثاني(التطبيقي):

الأنساق المضمرة في رواية

"وادي الحناء" لجميلة طلباوي

تعتبر الصحراء الجزائرية بيئة خصبة تضم العديد من الموروثات المادية واللامادية، وهي مهد التاريخ والحضارات. لها صورة عجيبة بما تحمله أرضها وجغرافيتها وشعبها من ثقافات عريقة بالإضافة إلى تميزها في العطاء الديني والأدبي والعمراني ممثلة ترسانة من الخبرات والتجارب والفنون التي تعكس البعد الإنساني في أسمى معانيه وتجسد ذاكرة الأمة، وقد ألهمت الصحراء الكتاب والمبدعين وحركت قرائحهم فجاءت بنصوص مستلهمة من المكان الذي ظل مهمشا حينا من الزمن، وتعد الرواية أقدر الأجناس الأدبية حملا للخيال الصحراوي والتعريف بهذا الفضاء الفسيح الذي يكشف لنا عن روح الصحراء وحمولاتها، مما جعل الأدباء يعتمدونها في خطاباتهم كوسيلة يلجئون من خلالها" لقول أشياء لا يستطيعون قولها في مقولاتهم الاعتيادية"[1]. إنها" تشكل فاعلية لا تكتفي بأن تعكس العالم أو تضاعفه بل تحاول خلق عالم بديل تحل فيه الكلمات محل الأشياء"[2]. فالصحراء ذلك الفضاء الممتد في الفراغ واللامحدود ويعد رمزا حاملا لوظيفة إيحائية تضفي أبعادا على الحقائق المجردة والثاوية في الصور المرئية. وقد اهتمت الروائية"جميلة طلباوي" في روايتها"وادي الحناء" بمتخيل الصحراء ووظفت جماليته في نصوصها فجعلت كل شيء في صحرائها علامة مختزنة بكم هائل من المعاني خلق لغتها البسيطة بساطة المكان الجغرافي، ولكنها عميقة في دلالتها عمق المكان الصحراوي، مستدعية بذلك تراثا زاخرا من التاريخ والعادات والقيم الإنسانية مختزنة هذه الجزئيات التي تعبر عن علاقات حياتية بين الإنسان الصحراوي ومكانه"نحن نؤمن بأن الصحراء هي الأصل وبات من الضروري استقر ار موروثها الثقافي لعلنا نجد الخلاص لإنسان عصر القلق هذا"[3].

---

[1]- رزان محمد ابراهيم: "خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة،دار الشروق،فلسطين،ط1، 2003م، ص25.

[2]- علي حرب: "الممنوع والممتنع"،نقد الذات المفكرة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1، 1995م، ص12.

[3]- جميلة طلباوي: "الخابية"،متسع لذاكرة المكان،ط1، 2014م،منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار(ANEP)، الجزائر ص116.

لقد جعلت الروائية كاشفة من خلاله عن جوهر العلاقة التي تربط بين الإنسان والطبيعة الصحراوية، لذلك أسعى من خلال هذا البحث إلى الكشف وتعرية الأنساق المضمرة في هذه الرواية في فضاء الصحراء باعتباره" فضاء مليئا بالرموز التي تولد رؤى فكرية خاصة بها، مما يعطي نصوصا روائية متميزة ومتخمة بالدلالات"[1].

أنواع فضاءات الصحراء في رواية" وادي الحناء"

أ- الفضاء النصي:يقصد بالفضاء النصي" الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها- باعتبارها أحرفا طباعية- على مساحة الورق ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطالع، وتنظيم الفصول،وتغيرات الكتابة المطبعية، وتشكيل العناوين وغيرها"[2]. ففي العمل الروائي نجد هذا التشكيل في الفضاء النصي الذي نلاحظه في الخطاب الروائي، وسأقدم فيما يلي مختلف تجليات فضاء الصحراء من خلال هذا النوع(الفضاء النصي):

1- الغلاف والعنوان:

العنوان له دوره في إغواء وا ٍغراء المتلقي للإقبال على كشف الشفرة الأولى التي يتعرض لها، وهو هنا عبارة عن وجه جميل وسيم يدفع القارئ ليستنطق النص المخفي المجهول ليتمتع بلذته والكشف عن خباياه، ففي روايتنا هذه التي تحمل غلاف خارجي الموسوم بعنوان الرواية "وادي الحناء" بخط عريض أحمر الذي يرمز لنا على لون الحناء، والمعنى المقصود من خلال العنوان في الفضاء النصي لهذه الرواية هو الكشف عن رمزية الحناء الصحراوية الدالة على الفرح والسعادة فالعنوان يحتل الجزء السفلي للغلاف، وكأنه يغري القارئ للاطلاع

[1]- تحريشي محمد: "النص والنصية في الرواية الصحراوية"،رواية وراء السرداب. . . قليلا لإبراهيم الدرغوثي أنموذجا،ص29.

[2]- حميد لحمداني: "بنية النص السردي"،من منظور النقد الأدبي،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 1991م،ص55.

على مضمونه لأن هذا العنوان له علاقة وطيدة بالنص، فهو يوحي بالاتساع والامتداد العام لفضاء الصحراء اللامتناهي، أما الجزء العلوي من نص الغلاف فيتوسط اسم المؤلفة" جميلة طلباوي"حيث نلاحظ أنها كتبت بلون أسود وبخط عريض أصغر من العنوان لإبراز اسمها" أما الجزء العلوي من نص الغلاف، فيتوسط اسم دار النشر وهي ميم للنشر"[1]. أما الجزء الذي يتوسط الصفحة فتتواجد فيه صورة يد امرأة مزخرفة بحناء حمراء من منقوشة على يد بيضاء فالبياض هو رمز لنقاء وصفاء قلوب المنطقة الصحراوية وسخائهم، وانعكاس نقش الحناء وزينتها على اليد تدل بأن لها علاقة بتمسك المرأة الصحراوية بعاداتها وخاصة الحناء الصحراوية التي تدل على الفرح، أما طلاء أظافرها فهو طلاء أسود دلالة على غالبية سكان الصحراء ذو بشرة سوداء، وذلك إن فضاء الصحراء فضاء خشن وصعب بفعل ارتفاع درجة الحرارة، وفي نفس الموضع تحمل هذه اليد وردة حمراء باللون القاتم التي تدل على الراحة في النفس وذات عطر فواح، فهذه الورود التي لونها لون الحناء القاتم ترتبط ارتباطا وثيقا بالمرأة الصحراوية كونها تشترك في العديد من الصفات كالرقة والرائحة الجميلة. هذا التصميم يحمل أبعادا إيحائية دلالية ترتبط بالفضاء النصي، ومن جهة الغلاف الخلفي فقد زينت بنقش رسومات الحناء على أطراف الصفحة في الأعلى والأسفل وفي جهة اليمين فقد كتبت اسم الرواية بشكل شاقولي مع اسم الكاتبة أما وسط الصفحة، فكتبت جزء الغلاف على اليمين فوضعت صورة للكاتبة جميلة طلباوي مبتسمة مبتهجة تدل على الفرح مثلما ترمز الحناء للسعادة وفي آخر صفحة الغلاف الخلفي شعارا دار ميم للنشر ويمثل اللون الذي صبغت به الرواية هو لون الصحراء ورمالها.

لقد صبغت الرواية بلون أبيض مائل إلى الأصفر دلالة على الكثبان الرملية التي تتمتع بها الصحراء وهذا يحيلنا إلى أن غلاف الرواية صبغ بميزة صحراوية وهي لون الرمال الصحراوية.

[1]- انظر الصورة في الملحق.

2- فصول المتن الروائي:

إن تحديد العلاقات القائمة بين الفقرات والوحدات والفصول في المتن الروائي إضافة إلى ذلك البياض والتشكلات التي تعمل على إخراج فضاء نصي له دور جمالي يتأتى من خلال تفاعله في مخيلة القارئ، فعادة ما يقسم المؤلف الرواية إلى فصول ويتم الفصل بين هذه الفصول من خلال فراغات ومساحات بيضاء تتجلى في الفضاء النصي التي لها دلالات ترسم في مخيلة القارئ، وهذا ما اتضح في رواية"وادي الحناء"حيث نلاحظ طغيان فضاء الورق في مختلف الفصول، فقد قسمت الرواية إلى ثمانية فصول وصفتها الكاتبة بالأوراق" على أوراق الحناء دونت حكايتي"[1]. وأثناء الانتقال من الورقة الأولى" لون الحناء صوت الحياة"[2]. إلى الورقة الثانية"لالة مريم زينة البنات"[3]. نلاحظ أن هذا الفراغ السائد في ورقة ذات لون أصفر يجعل القارئ وكأنه يقرأ في وسط ورقة رملية ليعيش أحداث الرواية داخل الصحراء، فهو يعطي مساحة من الحرية للقارئ كي يستشرف المستقبل من خلال معطيات الماضي، "ويدل هذا البياض بين الفقرات أو الفصول على نقلات زمنية ومكانية وعلى أبعاد إيحائية ودلالية أحيانا"[4]. وقد تمثل هذا في الرواية من خلال"اقترح عليها أن ترافقه إلى بيت سيدي الشيخ وأن تتعرف على زوجته لالة حليمة التي صارت فيما بعد صديقتها الحميمة" [5]. فكان هذا نهاية الفصل الثاني ثم يأتي البياض الذي يدل على التنقل المكاني ومساحة لترسم صورة هذا القصر الصحراوي في ذهن القارئ ثم لتأتي تفاصيل هذا الفضاء في الفصل الثالث.

---

[1]- جميلة طلباوي: "رواية وادي الحناء"،دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص9.

[2]- المرجع نفسه،ص11

[3]- المرجع نفسه،ص35

[4]- د. مراد عبد الرحمان مبروك: "جيوبولوتيكا النص الأدبي"،تضاريس الفضاء الروائي نموذجا،دار الوفاء الإسكندرية،مصر ط1، 2002م،ص164.

[5]-جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"،ص49.

3- الكتابة الأفقية:

وهي"استعمال الصفحة بشكل عادي بواسطة كتابة أفقية تبتدئ من أقصى اليسار وا ٍذا لم تكن هذه الكتابة مبرزة يمكن أن ندعوها كتابة أفقية بيضاء، وقد تعطي هذه الطريقة في الكتابة الانطباع بتزاحم الأحداث أو الأفكار في ذهن البطل الرئيسي"[1]. فقد يوحي رص الكلمات التي تكون متتابعة بتراكم الأحداث وتسلسل الأفكار في ذهن الشخصية إلى مدى أهمية هذا الفضاء وقد استخدمت الكاتبة"جميلة طلباوي" هذه الطريقة كما يلي:

" شعرت بهلع كبير تسارعت ضربات قلبي لم أشعر إلا وأنا أصرخ وأطلب من سائق الحافلة أن يعيدني إلى مدينتي، حاول محمد تهدئتي لكن الاضطراب كان واضحا عليه لتعم حركة غريبة في الحافلة، بدأ صراخ النساء وبكاء الأطفال، حتى أنه أغمي علي ولم أستعيد وعيي إلا وأنا في مصلحة الاستعجالات الطبية بمستشفى وهران"[2]. تقدم الكتابة الأفقية في هذا المقطع دلالة خاصة وميزة أساسية، فهي تدل على أن ورقة الحناء "عويشة" كما تسمي نفسها مهما ابتعدت عن فضائها الصحراوي إلا أن حنينها وشوقها لمدينتها"تيمي" كان قائما في ذهنها طوال إقامتها، فلا أبهى بالنسبة لعويشة من المكان الذي ولدت فيه وترعرعت، إنها تيمي المعروفة بأدرار.

4- الكتابة العمودية:

وهي" استغلال الصفحة بطريقة جزئية فيما يخص العرض كأن توضع الكتابة على اليمين أو في وسط أو في اليسار وتكون عبارة عن أسطر قصيرة لا تشغل الصفحة كلها"[3]. فتأتي الكتابة العمودية على يمين الصفحة وذلك أن الكاتب ضمن نصه الروائي شعرا ملحونا مثلما ورد في رواية"وادي الحناء"حين قالت الكاتبة:

" تتناهى إلى سمعك أصوات النسوة يرددن الأغنية الشهيرة بقرية أولاد بن سعيد:

---

[1]- حميد لحمداني: "بنية النص السردي"، من منظور النقد الأدبي،ص56.

[2]-جميلة طلباوي: "رواية وادي الحناء"، ص154.

[3]-حميد لحمداني: "بنية النص السردي"،من منظور النقد الأدبي،ص56، 57.

لزرق وسعاني يا رفيقي ودي عنواني

مالح لغواني زور مسعودة زهو البال

حبك جوجاني ومن غرامك زدت هبال

حبك رشاني يا الهيفة دارق لمزاني

جرح الدلالي وكاملة بالزين والوصاف "[1].

هنا يتوقف القارئ ليتأمل في تشكيل الأسطر وتتبعها، لينظر إلى قراءة هذه الأسطر على أنها شعر حر وهو دور الشكل العمودي، وفي حقيقة الأمر استعملت الروائية هذا النوع من الأجناس الأدبية وهو الشعر الملحون للتأكيد على تراث المنطقة الصحراوية، فهذه الأغنية تستعمل ضمن نطاق الفضاء الصحراوي أي أنها تعد جزء من تركيبة هذا الفضاء.

ب- الفضاء الدلالي:

يتشكل الفضاء الدلالي انطلاقا من معطيات لغة النص في مخيلة القارئ والفضاء الدلالي ليس له في الواقع مجال مكاني ملموس لأنه مجرد مسألة معنوية أي أنه يتجاوز تلك الواقعية ليتحول إلى وعاء لغوي" إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تعمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي، وعن الآخر بأنه مجازي، هناك إذن فضاء دلالي يتأسس بين المدلول المجازي، والمدلول الحقيقي"[2]. أي أن لغة الحكي يمكننا رصد أهم المجازات والتغيرات اللغوية التي تتواجد من خلال الفضاء الدلالي الصحراوي، ومن العبارات الدالة على الجو الذي يشبع داخل الرواية للدلالة على الفضاء الصحراوي ما يلي:

[1]-جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء" دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص23.

[2]- حميد لحمداني: "بنية النص السردي"،من منظور النقد الأدبي،ص60.

1- التشبيه: يدخل هذا النمط في باب البلاغة، فمن خلال عبارات وألفاظ معينة يوفر لنا علامات نصية خاصة، ومن أمثلة التشبيه الموجودة في الرواية يتمثل في رد "عويشة" على الضغوطات التي كانت تمر فكما قالت الكاتبة:" إنني ورقة حناء خضراء"[1].

فدلالة هذا التشبيه هو أن شخصية"عويشة" كانت تحت ضغط عنصري خارج مدينة أدرار لتقول هذه الجملة لتثبت هويتها الصحراوية لطالما تفتخر وتعتز بهذا الفضاء الزاخر بالعادات والتقاليد، وفي موضع آخر تقول الروائية" وقف محمد أمامي كتمثال من زمن الإغريق"[2]. ودلالة هذا التشبيه أن محمد بفعل حرارة الصحراء ظهرت عليه بعض التصدعات من أثر العوامل الطبيعية.

إضافة إلى ذلك كانت اللغة لغة تغطي عليها مصطلحات صحراوية من الناحية البلاغية فوظفت الكاتبة تشبيها عند وصف العذراء مريم" حيث قالت الكاتبة" لها عيني ظبي شارد في الصحراء"[3]. فكانت لغة التشبيه التي تسود داخل الرواية لغة تشيع فيها مصطلحات صحراوية وظفتها الروائية لتشبه بها الشخصيات، وفي موضع آخر تقول في وصف القصر" بأنه أشبه ما يكون بكوكب نوراني يعبق بالمسك والعنبر والبخور"[4]. وهنا تشبيه القصر بكوكب يضيء بالأشعة النورانية التي تخرج من فضاء له مكانة دينية مرموقة، وفي موضع آخر تذكر الكاتبة الشخصية "لالة مريم" عندما شعرت بالحزن" تطأطئ رأسها وكأنها تريد أن تدفنه في رمل"[5]. هنا دلالة على أن الشخصية"مريم" عندما اعتصرت من الحزن التجأت إلى ذرات الرمل لتنحني له وكأنها تشكي له همها.

---

[1]- جميلة طاباوي: رواية "وادي الحناء"، دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص23.

[2]- المرجع نفسه،ص18.

[3]- المرجع نفسه،ص23.

[4]- المرجع نفسه،ص79.

[5]- جميلة طلباوي: رواية " وادي الحناء"،ص89.

2- الاستعارة:

لقد ورد في النص استعارات استخدمتها الكاتبة لدلالات معينة وا يحاءات خاصة، ترتبط بفضاء الصحراء وتمثل ذلك في قول الكاتبة" توقظ سكون الرمل الشامخ"[1]. وهنا دلالة على صمود وتحمل الرمل الساكن ليتحرك عبر نغمات شعبية صحراوية ليشارك أفراح المنطقة وأحزانها، في موضع آخر ذكرت الروائية شخصية" الحاج جلول"حين مشى بين الجموع تداعب الرمال الصافية خطواته"[2]. ودلالة هذه الاستعارة هي الصحراء، حيث أصبحت شخصا يستطيع التعايش معه، أي أن فضاء الصحراء أصبح يعد جزءا من تركيبة هذه المنطقة. وتقول في موضع آخر تصف فيه أشعة الشمس الحارقة نهارا، وهي تغادر المنطقة مساءا" كانت الشمس ترسل عليها خيوطا باهتة"[3]. أي أن الشمس تغادر مدينة"تيمي" لتعم المدينة بالسكون والهدوء التي تسكن فيها الحركة نهارا من أشعة الشمس الحارقة.

3- الكناية:

وظفت الروائية كناية تعمل دلالات معينة ومن بين الكنايات التي وردت في متن الرواية وهي تصف صاحب الزاوية فتقول"ملاكا هبط على الأرض"[4]. وهنا دلالة على شدة بياض ونقاء وصفاء سيدي الشيخ صاحب الزاوية الصحراوية الرجل صاحب مكانة مرموقة وأمانة محفوظة.

---

[1]- المرجع نفسه،ص19.

[2]- المرجع نفسه،ص23.

[3]- المرجع نفسه،ص47.

[4]- المرجع نفسه،ص81.

** نستنتج أن الفضاء الدلالي يسيطر عليه نوع من المصطلحات الصحراوية التي وظفتها الروائية داخل المتن الروائي حيث يشيع جوا صحراويا ولا ننسى أن جل معاني هذه المجالات تدور حول فضاء الصحراء.

إبراز الأنساق الثقافية والاجتماعية في رواية "وادي الحناء" التورية:

هي أساس عمل النقد الثقافي، لكنه لا يبحث عن معناها الجمالي القريب الذي يمرر بشكل نسقي في منطقة الوعي المعرفي والعقلي، ولكنه يهتم بالمعنى البعيد الذي يمرر بشكل نسقي مضمر" حيث هو جبروت ومزي متحكم، وبه تتشكل الدلالة النسقية"[1]. وهذا النسق الثقافي له تمظهران في النصوص الثقافية هما: النسق المعلن، والآخر النسق المضمر الخفي وهذان النسقان متلازمان داخل النصوص لا يكاد أحدهما يفارق الآخر بل قد يتعارض ويتناقضان داخل النص الثقافي،" والوظيفة النسقية لا تحدث داخل النص الثقافي إلا عندما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر"[2]. ويهتم النسق الثقافي بالنسق المضمر أما النسق الظاهر فيكون الاهتمام بقدر ما يعد وسيلة للكشف عن المضمر المتواري خلفه. وتتعدد الأنساق بحسب طبيعة النص. وفكر المبدع، ووجهة نظر الكاتب، وثقافة المتلقي.

النسق الثقافي:

يأخذ مفهوم التراث مكانة المميز في نسق المفاهيم التي ترتبط بحياة الإنسان وتاريخه ومؤثرات وجوده، ويشكل مفهومه أحد العناصر الأساسية للهوية الثقافية عند الشعوب والجماعات والأمم باعتباره يمثل المضمون الثقافي لهوية الأمة فالتراث هو المخزون النفسي لدى الجماهير، والطاقة الحيوية الوجدانية للأمة" التراث هو المخزون النفسي لدى

[1]- عبد الله الغذامي: "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"،ص81.

[2]- المرجع نفسه،ص77.

الجماهير، وهو الأساس النظري لأبنية الواقع"[1]. " يضم الممارسات الشعبية والطقوسية معا، كما يضم الفلكلور والميثولوجيا العربية، ويضم أيضا الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي أو العطاء الجمعي في مسيرته الحضارية من القديم إلى اليوم"[2]. ويعتبر الموروث الشعبي جزءا مهما من التراث الثقافي، والذي يرمز إلى مختلف الأنماط الثقافية لحياة العامة من الناس في المراحل التاريخية السابقة، وتتدرج تحت إطار العادات والتقاليد والطقوس الشعبية، والأهازيج الشعبية كأنماط ثقافية تنتقل عبر المحاكاة والتقليد لتشكل مركز الثقل في أية ثقافة اجتماعية أو هوية ثقافية.

إن كل واحد منا" مؤتمن على إرثين:أحدهما عمودي يأتيه من أسلافه وتقاليد شعبه وجماعته الدينية، والآخر أفقي يأتيه من عصره ومعاصريه، وهذا الأخير أكثر حسما وأهمية، تتصاعد يوميا. ومع ذلك لا تنعكس هذه الحقيقة على إدراكنا لذواتنا. فنحن لا نستند إلى إرثنا الأفقي بل إلى الآخر"[3]. وهذا ما يؤكد أن إدراك الإنسان لصورته الإنسانية الذاتية استجابة لتساؤل الأنا والهوية، وهنا يتجلى التراث في عمق هذه الصورة، باعتباره يحفر مجراه في أعماق الإنسان والشعوب.

أ- اللباس الشعبي:

اللباس الشعبي لما له دور كبير في تحديد هوية الفرد الصحراوي، وفي الكشف عن بيئته الطبيعية التي ينتمي إليها لم تغفل عنه الروائية"جميلة طلباوي"في روايتها"وادي الحناء"إذ أنه يعبر عن هوية جماعة محلية من الناس وتعبر عن علاقات الفرد مع باقي أفراد الجماعة موقعه ضمن تلك الجماعة"، وما يجعله شعبيا هو أن الفرد يكون قد أجرى عليه

[1]- حسن حنفي: "من العقيدة إلى الثورة"المقدمات النظرية،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت-لبنان،ط1، 1988م،ص7.

[2]- سعيد حمزاوي: "صورة المرأة في المعتقدات الشعبية الموروث الشعبي وقضايا الوطن،" الملتقى الوطني الأول للموروث الشعبي، الرابطة للفكر والإبداع محاضرات الندوة الفكرية السادسة، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، 2006م، ص22.

[3]- أمين معلوف: "الهويات القاتلة "قراءة في الانتماء والعولمة"،تر:د. نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع سوريا-دمشق، ط1، 1999م،ص92.

تغيرات وا إضافات، وتكون هذه التغيرات والإضافات متوارثة شفويا"[1]. ومن الألبسة التي احتفت بها الروائية "طلباوي" بذكرها نجد"ليزار"،"الملحفة"،"العمامة"، "الشاش"،"الحايك"،"الطاقية" كما جاء في الرواية " أحنت الحسناء مريم رأسها وغيبت فيه عينيها الساحرتين بجزء من ملحفتها الزرقاء بلون السماء على هذه الصحاري تعدها بالغيث وبالفرح"[2]. وكما تقول أيضا:" تعالت الزغاريد بهجة بقدوم سلطان الغرام مشى بين الجموع تداعب الرمال الصافية خطواته، أخذ مكانة وسط الحلقة الكبيرة من نساء ورجال وأطفال، عدل من شاشه وعمامته التي يعتز بها"[3]. وكما تقول أيضا:" خرج الحاج جلول وقد نزع عمامته ووضع طاقية على رأسه"[4]. هي إشارة منها إلى أهمية اللباس الشعبي، النابع من روح الشعب ومن وجدانه، فـ "العمامة"، "الشاش" و"الطاقية" التي يرتديها الرجل تمثل نموذجا تقليديا مرتبطا بعقلية عربية ثم إسلامية واعتدادها بها دليل على أصالتها وتمييزها وهي بذلك تجعل من اللباس الشعبي علامة تؤكد على الانتماء" عامل مشترك يجمع عليه كل أفراد الأمة، أيه أمة من حيث الانتساب والتعلق والاعتزاز"[5]. فاللباس إذن مظهر مادي وأيقونة ثقافية تدل على خصائص الهوية الجمعية، من هنا غلب النسق الراسخ على ذهنية الروائية وتعمق في لا وعيها، نسق قائم على الالتزام بالتقليد الراسخ والتمسك بالتراث لتأكيد الانتماء وتعزيز الانتساب للأمة، والعودة إلى هذه الرموز عودة إلى الماضي والتاريخ وعودة إلى الجذور للتعرف عليها وعلى أصولها من أجل تحديد هويتها وزيادة وعيها القومي. لأن "هوية الأمة هي هوية تاريخية، والتاريخ هو الذي يشكلها"[6]. إنه بحث عن الذات التي تستند على ماضيها وتاريخها لتشكل حاضرها بعيدا

---

[1]- شريف كناعنة: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، رام الله، فلسطين،ص195.

[2]- جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"،دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص24.

[3]- المرجع نفسه،ص24.

[4]- المرجع نفسه،ص43.

[5]- رياض زكي قاسم:"الهوية وقضايا في الوعي العربي"مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، سلسلة كتب المستقبل العربي،العدد68،ط1، 2013م،ص25.

[6]- نديم البيطار: "حدود الهوية القومية "دار الوحدة، بيروت، لبنان، ط 1982م،ص19.

عن التشتت والتفكك. وتواصل الروائية عرضها للألبسة التقليدية فتقول:" تخرج النساء أيضا ليعشن بهجة الاحتفال وقد لبست كبيرات السن"ليزار"ولبست الشابات"الملحفة" بألوان زاهية وأسبلن ضفائرهن وقد خضبن أيديهن بالحناء وشفاههن بالمسواك"[1]. وتقول أيضا في حديثها عن "الحايك" بمجرد أن أنهت أشغالها لبست الحايك"[2]. "فالملابس الشعبية لا تستجيب لمتطلبات البيئة الطبيعية فقط، بل كذلك لمتطلبات وقيم وقوانين وتوقعات المجتمع أو الثقافة التي تستعمل فيها، فإنها"تحتوي"أو"تجسد"الكثير من المعاني الثقافية ويمكنها أن تتحدث، أي يمكن ترجمتها وفهمها عن طريق معارف خاصة بتلك الثقافة"[3].

**إن إصرار المر أة الأدرارية على التمسك بلباس تقليدي محلي لا يعبر عن هوية هذا المجتمع فحسب بل إن القدرة على كشف العديد من القيم الاجتماعية التي تختبئ وراء ارتدائها زيا معينا ذلك أنه" ليس مجرد مظهر خارجي، وكل ما هو تقليدي تتوحد فيه الرؤية الشرعية، فهو يعبر عن مبادئ الحسن و الحياء والستر التي نادى بها الدين الإسلامي"[4]. كما تحمل ألوان اللباس الشعبي دلالات عديدة، فكل لون يجسد ميزة خاصة به، فاللون الأبيض المميز"للعمامة" و"الشاش" يوحي بالنقاء والنور والوضوح والأمل ويرمز للماضي الجميل، كما يحمل مواصفات الأصالة والخير.

ب- الحنة: لقد ارتبطت الحناء بكثير من المعتقدات المتوارثة من الأجداد والتي أصبحت من التراث الثقافي، فالحناء رمز للزينة وعلامة على الفرح، لها أهمية بالغة في حياة المرأة الصحراوية، لمايحمله لونُها الأحمر في الأيادي والأرجل من أنوثة وابتهاج. وقد ركزت عليها الروائية فنجدها حاضرة بقوة في خطابها السردي حيث تقول:" لطالما انتبهت إلى

[1]- جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"، دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص22.

[2]- المرجع نفسه،ص43.

[3]- شريف كناعنة: "دراسات في الثقافة والتراث والهوية "المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله ،فلسطين،2011م ،ص197.

[4]- الجباري إسلامي: "مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية"، مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن19،جامعة الوادي،العدد2،نوفمبر2013م،ص192.

سحر الحناء، وا إلى السر الكامن في لونها، وفي رائحتها وفي رمزيتها المرتبطة بالفرح"[1]. قد أظهرتها الروائية رمز للجمال وجزء لا يتجزأ من أصالة المرأة الصحراوية، وهي بذلك رمز للجزائر الحاضرة بقوة في ذهن الروائية المتمسكة بتراثها. فالحناء ليست معيارا للجمال فحسب، ولكن لها تأثيرا عميقا في التراث الشعبي الأصيل، فهي رمز ضارب في جذور الماضي، وأيقونة للحياة والانتماء، فكما قالت الروائية:" فأنام كملاك، وأنهض باكرا لأحل رباط الحناء وأبدأ في تفتيت ما يبس منها ليظهر لونها زاهيا في كفي، أستنشق رائحتها وأسعد"[2]. وتقول أيضا في اعتزازها بالحناء" قبل ذلك استعدت اعتزازي بالحناء مرة أخرى وأنا في مقاعد الجامعة، كان ذلك حين اقترب مني الأستاذ حمزة الذي كان معجبا بذكائي وبتفوقي في الدراسة"[3].

ج- المطبوخات والمشروبات:

تشكل تراثا شعبيا أصيلا نابعا من صلب المجتمع، وبعدا من أبعاده، فهو يطلعنا إلى نوعية طعام مجتمع ما، ويمكننا من معرفة طريقة تفكيرهم وهذا ما جعل الروائية تهتم بالأكل والعادات الغذائية باعتبارها من المواضيع المهمة التي كان حضورها قويا في الخطاب السردي، فلم تتردد الروائية في النهل من موروثها الشعبي القيم، فراحت تحصي قاموسا لغويا خاصا بالمنطقة شرحت مسميات الأكلات الشعبية وما يصحبها من مشروبات لتعبر من خلال توظيف التراث المادي الصحراوي عن أصالتها وارتباطها القوي بروح الأرض التي تسري في عروقها، ومن أهم المأكولات التي ذكرتها"جميلة طلباوي" في روايتها نجد:

[1]-جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"، دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص13.

[2]- المرجع نفسه،ص13.

[3]- المرجع نفسه،ص15.

- **خبز أنُور:** تقول الروائية" كنت أظل ملتصقة بجدتي"نانة عيدة" وهي أمام تنور الطهي تطهو لنا خبز"أنور" الشهي"[1].
- **طبق الرقاق:** تقول الروائية" وما هي إلا لحظات حتى عاد بصينية الشاي يتبعه ابنه حاملا "طبقا من الرقاق"أضيف إليه مرق بالبصل"[2]. وتقول فيه أيضا "وفعلا كان الرقاق الذي يعد من الدقيق والماء والملح، ونشكله عجينة خفيفة، نطهوه ثم نعد له صلصة من البصل والطماطم وتوابل تيمي اللذيذة"[3].
- **تمر مسفوف:** تقول الروائية"وآخر فيه" تمر مسفوف"تجيد تحضيره نساء تيمي أيضا بتجفيف التمر ودقه مع التوابل ليتحول إلى أكلة لذيذة"[4].
- **الكسكس:** تقول الروائية" كنت أرافقها إلى بعض العائلات في تيمي لتعلم ربات البيوت عن موعد فتل الكسكس"[5]. وتقول أيضا" ونحن نتحلق حول المائدة نلتهم الكسكس الشهي"[6].
- **الكليلة:** تقول الروائية" والكليلة التي تعدها أمه من اللبن فتظهر على شكل صخور من حليب، تجفف لتكسر فيها وتطهى في حساء الحريرة أو طبق المردود الشهي أو قد تسحق ويضاف إليها السكر فتصبح مسحوقا لذيذا جدا"[7].
- **الحريرة وطبق المردود:** تقول الروائية" في حساء الحريرة أو طبق المردود الشهي"[8].

---

[1] - جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"، دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص13.

[2] - المرجع نفسه،ص31.

[3] - المرجع نفسه،ص152.

[4] - المرجع نفسه،ص31.

[5] - المرجع نفسه،ص55.

[6] - المرجع نفسه،ص147.

[7] - المرجع نفسه،ص81.

[8] -المرجع نفسه،ص81.

كما أشارت الروائية"طلباوي"إلى أهم مشروب يتناوله غالبية سكان الصحراء الجزائرية وهو الذي يقدم عدة مرات في اليوم كونه مشروبا يقدم للضيوف وأنيسا مهما في جلسات السمر.

- **الشاي:** تقول الروائية واصفة لنا طقوس الشاي في قولها" أخذ الإبريق، رفعه عاليا وراح يسكب الشاي المشروب السحري مشكلا فقاعات تغري باحتسائه"[1].

إن احتفاء الروائية بهذا الموروث الشعبي الأصيل من روح الشعب ومن شعوره، إنما يعكس مكونات الشعب الثقافية والفكرية، وقد وجدت"طلباوي"في ألوان تراثها الشعبي تعبيرا صحيحا عن الفطرة الإنسانية البريئة بعكس القيم المعاصرة المليئة بمفاهيم التشتت والضياع النفسي والتوتر. والتمسك والارتباط الوثيق بأساليب الحياة القديمة أثر من آثار ماضينا الذي لا يمكن تجاهله ونكرانه،والعودة إلى هذه الرموز عودة إلى الماضي والتاريخ وتمسك بالجذور المحددة لهويتنا.

د- الأهازيج الشعبية:

الأهازيج الشعبية فن شعبي قديم قدم الإنسان، يعبر عن مشاعر الناس من أفراح وأحزان وهو سجل لعاداتهم وتقاليدهم، والأهزوجة" نوع من الأناشيد الشعبية الغنائية لا يصاحبها أي نوع من الآلات الموسيقية، فهي تعتمد على المد الطويل للكلمات مع إصدار الصوت الواضح على هذا التمديد كما ترتبط بحياة الناس وتتصل بعاداتهم وأنماط حياتهم وتتخذ من أجل تحقيق الغايات المنشودة أشكالا عديدة وقوالب كثيرة يرتبط بعضها ببعض لتحقيق الوظائف النفسية والاجتماعية والثقافية، وقد تظل الأغنية موجودة، ويكتب لها الدوام طالما كانت المناسبة الاجتماعية موجودة"[2]. لذلك نجد الروائية قد أثثت روايتها بمقاطع من الأغاني الشعبية التي ميزت منطقة "أدرار" تقول الروائية "فتعالت الزغاريد

[1]- جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"، دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص127.

[2]- هاني العمد: "الأدب الشعبي في الأردن "منشورات لجنة تاريخ الأردن،عمان،ط1، 1996م،ص38.

وازداد الضرب على الدف والنسوة يرددن "الركبية" أهزوجتنا الشعبية الجميلة"[1]. وكما تقول أيضا "اليوم وقد هبت رياح الزمن قوية وقذفتني إلى هوة العمر، ملتحفة بالذكريات، مثقلة بأمراض الشيخوخة تنساب إلى سمعي كلمات أغنية عشقتها:

داني داني يا داني أنا

وأنا يا الناس صبحت على اللي نبغيه"[2].

وكما قالت الروائية أيضا "تتناهى إلى سمعك أصوات النسوة يرددن الأغنية الشهيرة بقرية أولاد بن سعيد:

" لزرق وسعاني يا رفيقي ودي عنواني

مالح لغوالي زور مسعودة زهو البال

حبك جوجاني ومن غرامك زدت هبال

حبك رشاني يا الهيفة دارق المزاني

جرح الدلالي وكاملة بالزين والوصاف"[3].

وتقول الروائية "جميلة طلباوي"أيضا" انسحب سلطان تيمي الحاج جلول من الحلقة لتتعالى أصوات النسوة بترديد كلمات شاعرتهن عايشة:

خيار القول لله قولوا للقوالة

هو اللي يستاهل الشكر

صلى الله عليه، ما يبخل مداح سيد الأمة

[1]- جميلة طلباوي: "رواية وادي الحناء"، دار ميم للنشر،ط1، 2018م،ص14.

[2]- المرجع نفسه،ص19.

[3]- المرجع نفسه،ص23.

سيد الرجالة"[1].

وتقول الروائية أيضا "والدتي غنت خلال الحفلة التي أقامتها لي لالة حليمة في دار الشيخ الكبيرة، مدحت الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بمدائح تحفظها نساء تيمي.

لا إله إلا الله هي الأولى في لساني

محمد رسول الله بها يرجح ميزاني

ونبدا قولي بسم الله الرحمان الرحيم

يا ربي أحفظ لي إيماني"[2].

إن اشتغال الروائية بتسجيل الذاكرة الشعبية في"أدرار" دليل قوي على حرصها على أداء رسالتها الوطنية في الحفاظ على هذا التراث من الضياع أو الطمس أو التهميش فمن" طبع المتفوق أن يحافظ على تفوقه المادي والفكري، ومن طبعه أيضا أن يتمركز لتحوم حوله الهوامش الثقافية على سبيل الإذعان والاعتراف بالشوكة والعظمة، وأنم يبسط بسيطرته على جميع الأطراف التي يتحكم فيها أو يصبو إلى امتلاكها"[3].

** إن الأغاني الشعبية ثمرة إبداع المجتمع الصحراوي، تعبر عن أفراحه وأحزانه وعن عمق تجاربه وتفاعله مع الأحداث التي مر بها، لتترجم في النهاية أصالته وتشبثه بجذوره، وهي حقيقة سعت الروائية إلى أن يدركها الجيل الجديد حتى لا يكون طعما تستلذه العولمة التي تعمل على مسخ الجانب الروحي من الإنسان.

---

[1]- المرجع نفسه،ص25.

[2]- جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"، ص98، 99.

[3]- محمد شوقي الزين: "الذات والآخر" كتاب مشترك بين دار الضفاف بيروت،ودار الضمان الرباط، ودار الاختلاف، الجزائر ص9.

نستخلص في الأخير أن الأغنية الشعبية قد أكسبت الرواية بعدا جماليا وثقافيا لذلك فإن المحافظة عليها ضمان استمرار الأمة بين أهم الأمم تفوقا وقوة.

النسق الاجتماعي

دور النخبة والمفكرين في رواية "وادي الحناء":

تحتل دراسة النخبة أهمية كبيرة في إطار موضوعات علم الاجتماع السياسي، ذلك لأهمية ما تملكه- النخبة- من أدوات مؤثرة في تكوين و استقرار المجتمعات وتشكيل نسق الحكم و الفكر والتوجه العقيدي. . . الخ. ودراسة النخب لم تعد قصرا على علم الاجتماع السياسي فقط بل تعدى ذلك إلى العديد من العلوم، فهي الآن أحد أهم محاور الدراسات السياسية والاقتصادية.

– النخب تضطلع بالعديد من الوظائف. . . ومنها أو أهمها صياغة آليات الحكم وتغيير القيم والسلوكيات. . . وهكذا فإن دراسة النخبة تعني إلقاء الضوء على مكون أساسي في صنع الواقع السياسي والثقافي والديني في مجتمع ما"[1].

تاريخية المصطلح:

لم يتفق علماء الاجتماع والسياسة على تار يخ ونشأة مفهوم النخبة، وان اتفقوا على أن ظهور النخبة ضارب في القدم واستندوا في ذلك على تصميم الفيلسوف"أفلاطون" على أهمية أن تقود المجتمع فئة من النابهين رآهم في الفلاسفة فضلا عن التأكيد على أن النخب كانت موجودة في كافة المجتمعات فهناك الكهنة المصريون والذين إلى جانب الملوك كانوا يمثلون صفرة المجتمع المصري باعتبارهم نوابا موفدين من قبل الملوك للمحافظة على الآلهة في المعابد. . . وهكذا كان الأمر في المجتمعات القديمة حيث كان رجال الدين يمثلون نخبة المجتمع إلى جانب الأمراء والحكام وعلى هذا السياق يمكن التأكيدعلى أن ظاهرة النخبة ظاهرة ارتبطت بالإنسان منذ بدء الخليقة وا ٍن اختلف

[1]- المركز الديمقراطي العربي،27 يناير 2016.

تصورها ونوعية النخبة نفسها فهي مرتبطة بسياق زماني وسياق مكاني يحددان نوعها ودورها. . . الخ.

- إن التتبع الميداني والمعرفي لموضوع النخبة يظهر بوضوح أنه لا مجال لتعميم تعريف تحليلي صالح لكل زمان ومكان فهناك مراحل تاريخية كانت النخب فيها"[1]تلعب دورا كبيرا في وعي قضايا المواطن والمجتمع والأمة في مجتمعات محددة ولم يكن ذلك مرتبطا بالضرورة بمجموع الشبكة الاجتماعية التي تشملها هذه الكلمة بأكثر تعريفاتها عملية بل غالبا بالمنسلخين اجتماعيا وسلطويا عن هذا الوضع أي ليس بمن يفكر بالثقافة كمشروع سلطة بل بإدراك دوره النقدي كسلطة مضادة بامتياز وهنا محك العلاقة بين النخبة والمجتمع بين المثقف والمشروع الحضاري لمجتمعه.

– يعتبر"لازويل" النخبة"إنها تلك الطبقة التي تتميز بقدرتها على التأثير أكثر من غير ها مع جنيها لنتائج ملموسة بفعل هذا التأثير"[2].

– النخبة تعني أيضا" الأقلية المنتخبة أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية (مجتمع أو دولة أو طائفة دينية أو حزب سياسي) تمارس نفوذا غالبا في تلك المجموعة عادة بفضل مواهبها الفعلية أو الخاصة المفترضة.

[1]- المركز الديمقراطي العربي،27 يناير 2016.

[2]- المرجع نفسه.

خاتمة

لكل بداية نهاية فقد استوت المذكرة ورست على النتائج الآتية فلا بد لأي بحث علمي أن تكون له ثمارا في ختامه، وبعد الجولة التي خضتها وقضيتها في رحاب النقد الثقافي والأنساق المضمرة، وبعد القراءة المعمقة لرواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي. وأنا أقف عند نهاية البحث بدءا من تقديمي وعرضي للجانب النظري واستعراضه في تحليل الرواية واستظهار مختلف أنساقها، وبعد هذه الدراسة والتحليل اتضح لي أن رواية" وادي الحناء" لجميلة طلباوي قد تضمنت عددا كبيرا من الأنساق المضمرة،والقارئ والمتصفح لهذه الرواية يجد أنها تحمل وعيا عميقا بالبعد الثقافي الذي أثرى النص الروائي ودليل ذلك ما تضمنته الرواية من أنساق مضمرة، تختفي تحت الغطاء الجمالي الذي يحتفي بالأنساق التي توجد خلف البعد الجمالي. وهذه الأنساق يمكن تلخيصها كما يأتي:

- النسق متعلق بالترتيب والتنظيم، والنسق هو الكلام المنظم والمرتب على نظام واحد.

– إن احتفاء الروائية بالموروث الشعبي الأصيل من روح الشعب وشعوره، إنما يعكس مكونات الشعب الثقافية والفكرية، وقد وجدت"طلباوي" في ألوان تراثها الشعبي تعبيرا صحيحا عن الفطرة البريئة بعكس القيم المعاصرة المليئة بمفاهيم التشتت والضياع النفسي والتوتر، ولذلك أرادت ترسيخ فكرة تفعيل الموروث الشعبي في قيم المجتمع الجزائري.

– الفضاء الدلالي يسيطر عليه نوع من المصطلحات الصحراوية التي وظفتها الروائية داخل المتن الروائي حيث يشيع جوا صحراويا.

– رواية "وادي الحناء" رواية الأنساق المضمرة وفضاء مكتنزا بالدلالات.

– النقد الثقافي هو منهج أو إجراء ينظر إلى النص باعتباره **رسالة مبطنة** حاملة لعديد من الأنساق المختلفة.

– إن الدراسات الثقافية أعم وأشمل من النقد الثقافي الذي أخذ المفاهيم منها، كما أن الفرق منهجي بينهما واضح، وهو أن الدراسات الثقافية تعمل على الظواهر المعلنة، بينما النقد الثقافي فهو النبش عن المضمر.

- عالجت "جميلة طلباوي" مجموعة من الإشكالات من بينها الانتماء للهوية من خلال سلوك الشخصيات وتصرفاتها وعبر علاقتها بالآخر.

-الدراسات الثقافية دراسة منفتحة وفضفاضة، لأنها تستفيد من مناهج ومقاربات متعددة.
– النقد الثقافي محاولة تختلف في أسسها وفي إجراءاتها عن محاولات النقد الأدبي في قراءتها للنصوص. فالنقد ينطلق من منطلق منهجي يستند في إنشائه إلى تحليل علمي للأنساق الاجتماعية الحاكمة، والثقافة شرط مهم من شروط الناقد الحقيقي.

–لا يقتصر النقد الثقافي على در اسة ما هو نخبوي مؤسساتي بل تمتد أياديه إلى ما هو أوسع فيدرس الهامشي والجديد.

– ارتبط الخطاب السردي في رواية"وادي الحناء" بقضية هامة ورئيسة متمثلة في الهوية باعتبارها انعكاسا صادقا للانتماء للذات الإنسانية والمجتمع ولكي يستمر هذا الانتماء ونعيش بهويتنا لا بد من التمسك بقيمنا وثوابتنا بمرونة تكفي للتوافق مع متغيرات الحياة.
– من سمات النسق أنه يتصف بميزة التشجير أو التفريع أي قدرته على التناسل النسقي بأن يتشجر عن النسق الرئيسي.

–الثقافة مرتبطة بحياة البشر في مجتمعاتهم كالأخلاق والعادات والتقاليد وتنشأ هذه الثقافة نتيجة التواصل والتفاعل اليومي بينهم، وهي نتائج تفاعلات بين الأشخاص والتجاور في حياتهم اليومية ولكل مجتمع ثقافته وكل ثقافة تحمل أنساقا جمالية تختفي وراءها أنساق مضمرة والثقافة أنواع: اجتماعية، سياسية، تاريخية، دينية.

– النسق هو السلطة والقوة وامتلاك النسق هو تحكم في مفاصل المجتمع والفاعلين الاجتماعيين وتحقيق لمفهوم التوازن والاستقرار. النسق الراسخ على ذهنية الروائية وتعمق في لاوعيها،نسق قائم على الالتزام بالتقليد الراسخ والتمسك بالتراث لتأكيد الانتماء وتعزيز الانتساب للأمة.

– لقد صبغت الرواية بلون أبيض مائل إلى الأصفر دلالة على الكثبان الرملية التي تتمتع بها الصحراء وهذا يحيلنا إلى غلاف الرواية الذي صبغ بميزة صحراوية تتوافق مع طبيعة البيئة الصحراوية.

وفي الختام فإن رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي عمل متميز ومرموق مشحون بجملة من الأفكو القيمة لم أتمكن من استخلاصها وا ٍظهارها كليا والإحاطة بكل مكتنزاتها وأسرارها الخفية، لذا أوجه كل باحث إلى دراستها وا ٍثراء أفكارها الكامنة ودلالاتها المخبوءة وا ٍظهارها كليا والإحاطة بكل مكتنزاتها وحمولتها المعرفية والثقافية والكونية وأسرارها الخفية لنكتشف عالم المبدعة جميلة طلباوي المكثف والوازن في نتاجها عموما وفي رواية "وادي الحناء" خصوصا.

الملحق

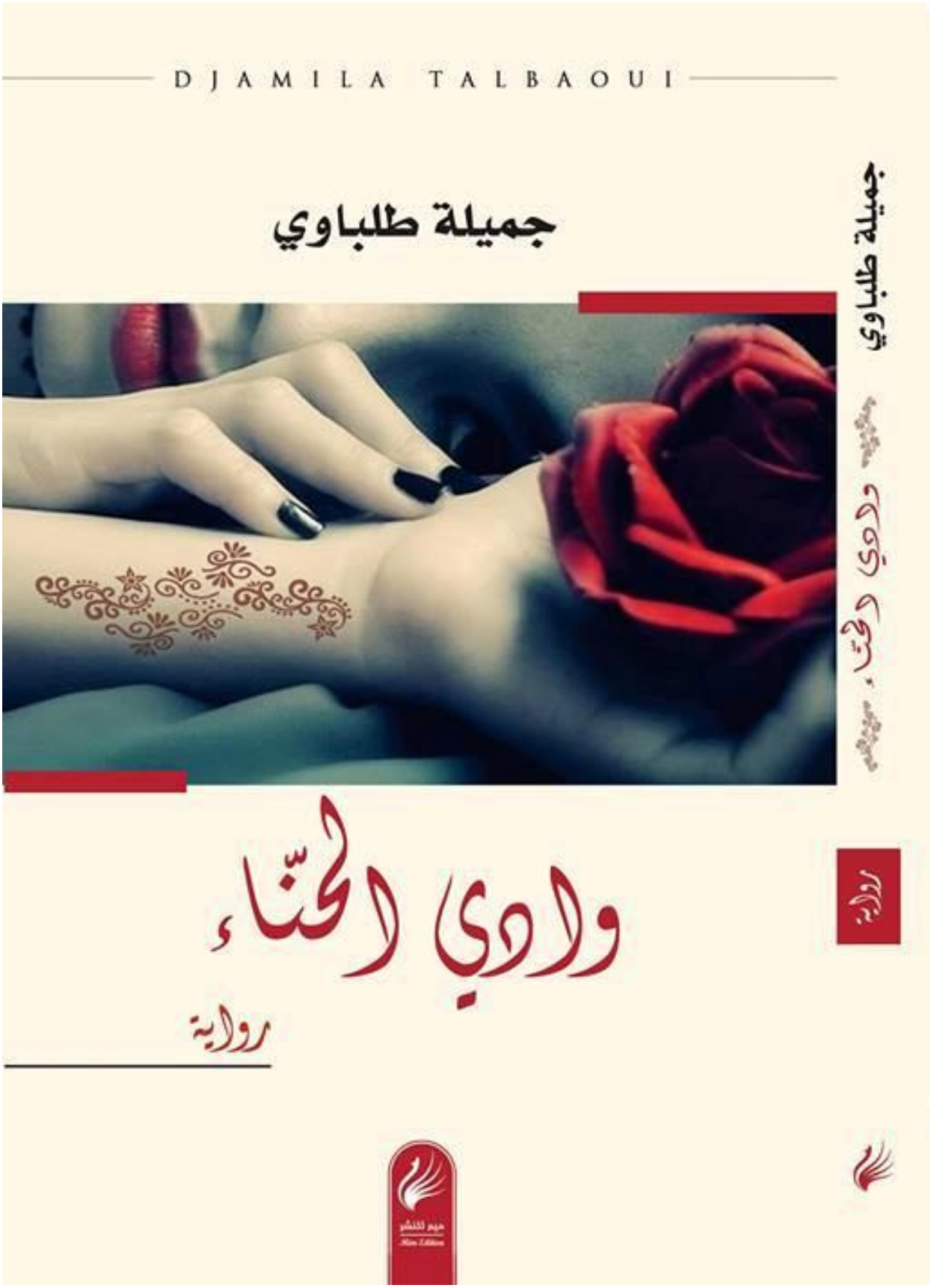
DJAMILA TALBAOUI
جميلة طلباوي
جميلة طلباوي
وادي الحنّاء
رواية
وادي الحنّاء
رواية

تلخيص رواية " وادي الحناء " جميلة طلباوي

حديث الروائية على الحناء ثم وصفها لنفسها وكيف تم تزيينها في حفل خطوبتها كما وصفت لنا ليلة الحناء التي كانت على حسب رأيها أنها ليلة معظمة ولها خصوصيتها في طقوس الزفاف في مدينة أدرار"تيمي"، والتي تخللتها بعض العادات والتقاليد. كما أردفت في حديثها أنها في تلك اللحظة التي زفت فيها إلى عريسها "محمد" أنها امتزجت بداخلها أحاسيس متضاربة إحساس بالفرح وارتباك، رغم ذلك ظل من أجمل حفلات الزفاف التي شهدتها مدينتي في تلك الفترة. ذلك الاعتزاز بالحناء الذي استعادته "عويشة"أيام الجامعة وكيف أن الأستاذ حمزة كان معجبا بذكائها وتفوقها في الدراسة والتي شده أيضا سمرة بشرتها واختلاف لهجتها حيث أشار لها متسائلا من أي منطقة هي؟ قالت: من "واد الحنة"بدلا من أن تقول له من مدينة أدرار المعروفة بزراعة الحناء كما أن بها واد يحمل اسم هذه النبتة صديقة المرأة ورمز الأفراح. من هذا كله صار لعويشة مكانة خاصة عند أستاذها كما صارت لها مكانة أكثر خصوصية في قلب محمد زميلها من مدينتها تيمي الذي لم يسلم هو الآخر من عنصرية بعض الزملاء والزميلات من لونه الذي كان يشبه لون بشرة عويشة حيث كانو ا ينادونها بالنقريطة هذه الكلمة التي تعني الزنجية فأصبح بدوره أيضا يعرف بالنقريط وكل منهما لا أهمه شيء ولا اهتم بكلام أحد سوى الاهتمام بالنجاح في دراسته والعودة إلى مدينته تيمي. عويشة التي توفي والدها الحاج جلول وهي بنت الخمسة أشهر غادرت بها والدتها لالة مريم إلى دار سيدي الشيخ التي كانت عبارة عن قصر بأجنحة مختلفة وغرف واسعة وأبواب كثيرة تعج بالخدم يسهرون على خدمة الشيخ وأهله، والدتها التي كانت على خلاف مع ربائبها وهي الغريبة عن المدينة إذ أنها من خارج مدينة تيمي. والدي الحاج جلول –تقول عويشة- له مكانة مرموقة في تيمي فهو لم يكن ضحية لونه الأسمر كباقي بني جلدته بل استطاع افتكاك مكان له مع الأشراف والنبلاء بفضل موهبته إذ كان شاعرا حكيما ومخبأ أسرار أهل المدينة ووجهتهم إذ ما ذاقت بهم الدنيا لحل مشاكلهم ونزاعاتهم. هذا الذي وقع بصره على أمها لالة مريم

في أحد أيام الربيع في إحدى الواحات البعيدة عن تيمي حيث كان أهل المدينة يحتفلون بموسم الزيارة لضريح أحد أولياء الله الصالحين وقد لفت جسدها-مريم- البض بملحفة بلون أزرق فاتح تدق فيها خطوط متموجة بلون أخضر لها عيني ظبي شارد في الصحراء وثغرها الجميل كشف عن أسنان هي اللؤلؤ لمعت تحت أشعة شمس ذلك اليوم المشهود فأصاب لبريقها قلبه العاشق كان يومها مدعوا لإلقاء قصيدة مشى بين الجموع سلطان الغرام إذ أخذ مكانه وسط الحلقة الكبيرة من رجال ونساء وأطفال عدل من شاشه عمامته التي يعتز بها، فزاد وجهه بهاء وجاذبية أحنت الحسناء مريم رأسها وغيبت عنه عيناها الساحرتين بجزء من ملحفتها الزرقاء بلون السماء المفتوحة على هذه الصحاري تعدها بالغيث وبالفرح. كان نظره لحظتها لا يحيد عنها. مريم كغيرها من سكان البلدة تكن إعجابا كبيرا لهذا الرجل الأسطورة هذا الرجل-تقول عويشة- الذي في كلامه سحر وفي حضوره نور وضياء مثلما كانت زوجاته الثلاث من قبل لكل واحدة منهن حكاية. فرحة مريم كانت لا تضاهى سيناديها الجميع لالة مريم بعد أن يتم قرانها بالحاج جلول وبحكم ميول الأعمام لتزويج بناتهم بأقاربهن انزعجوا للخبر إلا واحدا منهم يدعى أبا كروم الذي عبر عن سعادته لمصاهرة الحاج جلول ذو النسب الكريم في تيمي. وكما كان الحال أيضا مع عمتها التي كانت ترغب في تزويج مريم من ابنها الأكبر. جاء اليوم الموعود لقراءة الفاتحة وتسليم مهر العروس بحضور الأعمام والأخوال والجيران ورفاق والدها، كانت مريم الحسناء محاطة برفيقاتها تزوجت مريم بنت الجزار أبا أحمد الحاج جلول الذي دفع مهرها مالا كثيرا وأغدق العطايا على أهلها وأقيم العرس البهيج واستقرت في السكن الجديد الذي اشتراه الحاج جلول نزولا عند رغبة والدها، لم تشعر وهي ابنة الثامنة عشرة سنة بفارق السن بينها وبين الحاج جلول الذي تجاوز الأربعين بقليل. غادرت لالة مريم قريتها بعد وليمة وداع دعا إليها الحاج جلول كل سكان القصر ولم يبخل عليهم بالذبائح وأشهى المأكولات ثم شد الرحال إلى تيمي رفقة عروسه الشابة الفاتنة والتي لم يسبق لها أن زارتها. السيارة كانت تنتظرهم في مدخل القصر ركبا السيارة كان يقودها صديقه الحاج العربي ووضعت الأمتعة فيها لتنطلق السيارة المكشوفة للهواء تبرز منه الحقائب الغالية

أخذت العروس الشابة مكانها بين النسوة اللواتي أطلقن البخور والزغاريد ووزعن الحلوى والفول السوداني نظرت إلى عيون بنات الحاج جلول ففهمت ماذا ينتظرها في ذلك القصر الكبير ربائب لهم زوجات وأبناء وربيبات لهن أزواج وأبناء كانوا معارضين لزواج أبيهم الكهل من تلك الصبية فاتنة الجمال. في المرة الأولى التي تدخل فيها لالة مريم القصر الكبير أو دار شيخ الزاوية فتكتشف ذلك العالم الصاخب بحياة تختلف كثيرا عن الخارج بنظامه الدقيق الذي يحكمه استقبلتها لالة حليمة زوجة الشيخ ببشاشة وأغدقت عليها بالهدايا والعطايا حتى أنها نزعت أسورة من فضة كانت تزين معصمها وألبستها للالة مريم وهي تقول لها:"هذي بركة سيدي الشيخ". تقول عويشة رغم سني الصغيرة بدأت أخطط لخلق صداقة بيني وبين الخادمات ليطلعنني على العالم الخارجي الذي بدأت أتطلع إليه مبكرا فوالدتي لالة مريم استقرت عند أخوالي وكانت لا تأتي لزيارتي إلا كل ثلاثة أشهر وحدها الخادمة فانة تجاوبت مع شقاوة طفولتي ولم تصرخ في وجهي ولا تذمرت، انتبهت إلى أن معظم المقتنيات التي ملأت بها الخادمة فانة القفة كانت مجرد هدايا وعطايا من تجار السوق فكلما أقبلت على محل تجاري إلا واستقبلها صاحبه بترحاب حار وهو يردد "مرحبا بخدام الشيخ". فيعطيها حاجتها ويضيف عليها هدية لسيدي الشيخ وأهله وهو يقول:"قولي لسيدي الشيخ يدعي معانا". وهي بدورها تقول"يبلغ إن شاء الله" خارج قصر سيدي الشيخ استطعت أن أعرف نوعا آخر من الخدم والذي كان منهم أبا مسعود المكلف بالنزول إلى الجنان، كان الخدم ينادونني"الزرقة" عندما أرتكب حماقة وينادونني"عويشة المالحة"عندما أحسن التصرف رغم ذلك كنت أكن محبة كبيرة لهؤلاء الخدم الذين بفضلهم كانت الحياة منظمة نظاما دقيقا داخل دار سيدي الشيخ الأمر الذي يجعل كل من يدخلها يشعر بالراحة ولا ينقصه شيء. أما تلاميذ الزاوية فهم أبناء عائلات لها مكانتها الاجتماعية جاؤوا لطلب العلم كانوا يساعدون الخدم ورغم هذه الخيرات فالشيخ لا يملك شيئا باسمه هو يعيش على الهبات والعطايا من أعيان المدينة خاصة من شمال البلاد، ومن قادة عسكريين وحتى سياسيين فقد كان لي الحظ أن شهدت زيارة رئيس الجمهورية لسيدي الشيخ أذكر بأن زيارة الرئيس لم تكن رسمية لمجموعة من زوايا تيمي في مقدمتها

زاوية الشيخ العلم العلامة سيدي محمد بلكبير، ثم زاوية سيدي الشيخ الذي قيل عنه استقبل الرئيس أحسن استقبال كما يفعل مع كل ضيوفه مقتديا بالعلامة سيدي محمد بلكبير. الخوف من الله والتقوى والزهد كلها كانت صفات الشيخ مقتديا بشيخ الزاوية الكبيرة شيخ أدرار وعلمها الأشهر الشيخ سيدي محمد بالكبير الذي كان مثالا للنزاهة والحياد وخدمة الدين الإسلامي الحنيف. استأذنت من لالة حليمة ألقيت التحية على زوجة الرئيس فمدت يدها وشدتني لتقبل خدي فتملكني إحساس بأنها فكت شفرة ما في روحي جعلتني أقرب إلى عصفور انتابه رغبة جامحة في التحليق أمي لم تخف سعادتها وراحت تقول للنسوة "بنتي وريقة حنة اللي شافها يتهنا"ودعنا زوجة الرئيس بالزغاريد وبالدعاء لها بأن يمنحها الله السعادة وراحة البال بقيت يومها مسندة ظهري إلى سارية تتوسط باحة القصر حتى أن شعورا غريبا انتابني بأنني كبرت في تلك اللحظة سنوات. السي عثمان كان هو الآخر يهم بمغادرة جناحه انتبه إلى وجودي، ابتسم وهو يمسك بطرف عباءته متوجها صوبي دس يده الأخرى في جيبه سحب منه ورقة مالية دسها في يدي وهو يقول لي:"بالبركة عليك عويشة العزيزة علينا". كان يرمقني بنظرات غريبة ثم انصرف. لالة حليمة كانت تراقبنا في صمت أما زازة فسحبتني من ذراعي وهي توبخني وتذكرني بأن السي عثمان هو سيدي وعلي أن أطيعه. السي عثمان الابن الوحيد لسيدي الشيخ فهو محظوظ، قلت ذلك وأنا أضحك وأمسك بيدها -"خالك عنده الزهر". هزت لالة حفصة رأسها بالإيجاب وهي تخبرني بأن السي عثمان طلق زوجته لالة مليكة لأنها لم تنجب له الولد الذي ظل يحلم به فهو الوريث الوحيد لسيدي الشيخ. كانت مليكة زوجة السي عثمان جميلة جدا، إطلالتها كانت تبهرني، كانت بالنسبة لي سيدة من سيدات المجلات التي ندمن قراءتها وتهرب إليها الحفيدات بحثا عن نوافذ على العالم الخارجي. مرت خمس سنوات من خيبة الأمل واليأس بعد محاولات علاج متكررة لم يعد السي عثمان يطيق البقاء دون طفل، مليكة هي الأخرى كانت تدمع عيناها وهي ترى الزائرات يمسكن بأيدي أطفالهن كم تمنت أن تكون لها طفلة تمشط شعرها وتحكي لها القصص الجميلة كانت بحاجة إلى طفل تملأ به الفراغ في حضنها. حادثة الطلاق التي ألمت السي عثمان كانت

فرصة لبنات تيمي أن يحلمن بالزواج من الابن الوحيد لسيدي الشيخ ذلك الشاب الطويل القامة، كث الشارب، بياضه مشرب بحمرة وعيناه جميلتان تخطفان قلوب العذارى الخادمة فانة أخبرتني بسر خطير وهو أن السي عثمان أصبح يراقب فاكهة الأنوثة التي تفتقت في غفلة مني. الأمر أربكني يومها، ثم وجدتني أضحك من الفكرة وأقول لها:"أنا وين والسي عثمان وين؟" ضغطت يومها على ذراعي وهي تذكرني بأن ما يهم السي عثمان حاليا هو الوعاء الذي ينجب له الذكر ويضمن استمرارية اسم الغائلة. ذكرتني بأن زواج الشريف من الأمة يجعلها تحصل على نفس حقوق السيدة إذا ما أنجبت له الولد العبارة يومها أغضبتني فصرخت في وجهها: -"أنا حرة بنت حرة". حادثة طلاق السي عثمان كانت بداية التغيير في حياته ومصيره مثلما كان دخول والدتي لالة مريم إلى قصر سيدي الشيخ بداية تغيير في حياتها لالة حليمة زوجة شيخ الزاوية جاءت إلى القصر الكبير بعد وفاة زوجته الأولى التي أنجبت له بنتين وذكرا وحيدا احتضنتهم وسهرت على تربيتهم فصاروا ينادونها بـ "أمي" هذا اللقب الذي منحه لها أبناء سيدي الشيخ كان بسبب حبها الصادق لهم. لالة حليمة هي أيضا كانت محظوظة حين اختارها الشيخ زوجة له بعد وفاة زوجته الأولى فارتقت منزلتها الاجتماعية لكن الضريبة كانت ألا تغادر البيت الكبير إلا إلى قبرها. لم تكن تغادر بيتها حتى للعلاج، كانت الطبيبة تحضر إلى البيت لتكشف عليها ولتقدم لها العلاج اللازم، الطبيبة تقوم بذلك عن طيب خاطر وهي تدرك أهمية احترام أعراف سكان المدينة ولمحبتها للالة حليمة السيدة الجليلة. هذه الوضعية كانت تشترك فيها لالة مريم مع لالة حليمة فكلتاهما حرمت من الخروج من البيت ككل زوجات الرجال الذين لهم مكانة دينية أو اجتماعية في تيمي. وما كان يثير فضول عويشة منذ الصغر هو تلك المكانة الجليلة التي يحظى بها شيوخ الزوايا وزوجاتهم وأبناؤهم في وجدان السكان، الحاج جلول ودخول لالة مريم في صراع مع ربائبها بسبب الميراث لما كسرت القاعدة ولما تخطت عتبة بيتها كما يلزمها بذلك العرف. في المرة الأولى التي وطئت فيها قدمها لالة مريم القصر الكبير أو دار سيدي الشيخ تملكها شعور غريب لم تجد له تفسيرا فللمكان سحره وسطوته جلست يومها لالة حليمة في مكانها المخصص لها في وسط

غرفة الضيوف أخذت ترحب بالضيفات وقد أمرت الخادمات بأن يوزعن عليهن كؤوس الشاي والحلوى سارعت الضيفات إلى تقديم الهدايا التي جلبنها للزاوية ووضعها أمام لالة حليمة،سكر وشاي وقهوة ودقيق و أقمشة ثمينة وحتى مبالغ مالية. كانت لالة حليمة ترحب بضيفاتها بحرارة وبابتسامتها الجميلة والنساء الضيفات القادمات من مختلف أنحاء الوطن يعبرن لها عن سعادتهن برؤيتها كانت الواحدة منهن تسرد همومها للالة حليمة بكل طمأنينة وكأنها وصلت إلى مرفأ الأمان فتسمع لهن باهتمام تواسيهن وترشدهن وتوصيهن بالصبر واللجوء إلى الله فرحمته واسعة. ترفع النسوة الأيدي بالدعاء للالة حليمة التي تدعوهن لتناول الطعام الذي تعده الخادمات من تلك العطايا الوفيرة التي تكفي لإطعام كل سكان مدينة تيمي. انفرجت يومها أسارير لالة حليمة بمجرد أن عرفت بأن الواقفة أمامها هي زوجة الحاج جلول الشابة الحسناء فراحت تحضنها وترحب بها بحرارة ومن يومها صارتا صديقتين حميمتين، اليوم لالة مريم ليست وحيدة تستأنس بيدي الصغيرة وهي تدخل على هذا القصر وا لى الجناح الكبير المخصص للالة حليمة كانت الوالدة لالة مريم لا تزال تمسك بيدي تخلع نعلها وتجلس على الزربية لتحرر يدي من قبضتها فيطيب لي أن أجلس في حجرها وأن أسلم لها رأسي تداعب شعري. ثم راحت لالة مريم تسرد مأساتها مع إخوتي من أبي الذين لم يتقبلوها منذ البداية ولولا شخصية والدهم الحازمة لكانوا عجلوا برحيلها من تيمي، واليوم وقد فارق الحاج جلول الحياة طالبوها بالتنازل عن نصيبها وعن نصيبي من الميراث، بكت لالة مريم يومها في حضن لالة حليمة بمرارة ثم استطردت قائلة: -"الحق الحاج موسى وقف لهم". الحاج موسى هو الابن البكر للحاج جلول، وهو الوحيد من بين إخوته الذي احترم رغبة والدي في الزواج من الحسناء مريم،أخي الحاج موسى لست أنسى له أبدا أنه شجع والدتي على تخطي عتبة البيت الكبير وكسر العادات والتقاليد وعلى السفر إلى أهلها في قريتهم البعيدة لما جاء أخوها الأكبر ليتفقد أحوالها،احتضنتني والتي بقوة وهي تعدني بأنها ستأتي بين الفينة والأخرى للاطمئنان علي. أذكر أيضا بأن وصية والدي الحاج جلول لم تكن وحدها سببا في اختيار والدتي لمكوثي في دار سيدي الشيخ رفقة حفيداته، كان حلمها بأن أكون خليفة

والدي سلطان تيمي كانت تدرك بأنني لن أنال حظا من التعليم إذا ما غادرت تيمي وأقمت عند أخوالي الذين لا يقبلون خروج الفتاة للتعليم احتضنتني بقوة وأخبرتني بأن بقائي في تيمي هو لمصلحتي وبأنه تضحية كبرى منها كي أتمكن من الدراسة وكي يصبح لي شأن في المستقبل،طوال المدة التي مكثت فيها والدتي عند أهلها والتي قار بت الشهر وأنا في حضن لالة حليمة، ظلت تعاملني كابنة لها تماما بعد العودة من الكتاب وتناول وجبة الطعام أنطلق للعب مع حفيدات الشيخ أذكر أنني كنت لا ألبث وأنا أعيش نشوة اللعب مع رفيقاتي حفيدات الشيخ حتى أشعر بحركة غريبة في القصر. تسكن الحركة وتنتظم الصفوف وما هي إلا لحظات حتى يخرج الشيخ من خلوته كملاك حط من السماء بلباسه الأبيض ومحياه المشرق نورا. أذكر أيضا بأنني كنت جريئة جدا إذ كنت أول من تجري نحوه وأنا ألمح في طرف برنسه الأبيض الحلوى فيعطيني نصيبي كما يعطي لكل الأطفال الموجودين في تلك اللحظة نصيبهم أذكر بأن لحظة خروج الشيخ من الخلوة كانت من أجمل اللحظات بالنسبة لي ولباقي الأطفال. منذ التحاقي بالمدرسة الابتدائية أثبت ذكائي وتفوقي فكنت أنال من الجوائز من المعلم ومن مدير المؤسسة ما كان يلفت انتباه الجميع إلي حتى أنني نلت شهادة التعليم الابتدائي بتفوق لالة حليمة لم تفوت الفرصة وأقامت لي احتفالا كبيرا في القصر وكانت هديتها لي قرطين من ذهب والدتي هي الأخرى بمجرد أن سمعت خبر نجاحي وانتقالي إلى مرحلة الإعدادية حتى شدت الرحال إلى تيمي لتحتضنني وتطلق الزغاريد، والدتي غنت خلال الحفلة التي أقامتها لي لالة حليمة في دار الشيخ الكبيرة مدحت الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بمدائح تحفظها نساء تيمي:

لا إله إلا الله هي الأولى في لساني

محمد رسول الله فيها يرجح ميزاني

ونبدأ قولي باسم الله الرحمان الرحيم

يا ربي أحفظ لي إيماني

وحتى السي عثمان ابن الشيخ أحضر لي هدية سلمتها لي الخادمة زازة ضحكت يومها وأنا أستلم هدية السي عثمان أسورة من فضة. فاكهة الأنوثة بدأت تتضح في غفلة مني، تفطنت لذلك"فانة القصيرة"وأنا أرافقها لشراء بعض الملابس اقتربت مني حتى التصقت بي وهي تهمس في أذني بأن السي عثمان الابن الوحيد للشيخ كان يلاحقهما وانه كاد يلتهمني بنظراته فانة قالت يومها أنني أبدو حبة تمر شهية تمشي على الأرض، كانت يدي تشد صدري دون وعي مني وكأنها تحاول الإمساك بقلبي الذي شعرت في تلك اللحظة بأنه سيقفز من مكانه، تصبب العرق غزيرا ليبلل شعري وجسدي كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها مثل تلك النظرة من رجل، تساءلت بيني وبين نفسي إن كنت قد كبرت فعلا كما أخبرتني بذلك"فانة القصيرة" دخولي إلى القصر هو الحدث الجميل بالنسبة لحفيدات الشيخ اللواتي كن ممنوعات من الخروج خارج القصر ويمنع أن يراهن رجل غريب الحفيدات المعزولات عن العالم الخارجي كنت أنا عويشة الطموحة الشعلة من النشاط والحيوية نافذتهن عن العالم الخارجي، كما كانت الحفيدات نافذتي إلى عوالم وردية من خلال المجلات والجرائد التي كانت تجلب لهن من بلدان الخليج والمشرق العربيين بغرض تسليتهن وتثقيفهن وملأ الفراغ في عزلتهن. تهرول الفتيات في اتجاهي يكتبن عناوين الشباب لعل أحدهم يكون فارس الأحلام الذي يتخطفهن على صهوة جواده الأبيض. نفس الأمنية كانت تتحرك في أعماقي ألا يكون زواجي تقليديا وأن أصادف شخصا يعشقني وأمتلئ به حبا مثل القصص التي نقرأها في المجلات حينها أدركت سبب قلق أخي الحاج موسى علي وهو يراني أكبر ويرى أنه من حقه علي أن أكون في بيته كي أتزوج زواجا يليق بالحرة لذلك أرسل إلى والدتي يطلب منها التحدث مع لالة حليمة وا ٍخبارها برغبته في إحضاري للعيش في بيته مع أولاده. الموقف يومها كان صعبا على لالة حليمة التي أحبتني مثل ابنتها لكنها اشترطت على والدتي أن تسمح لي بالتردد على القصر في حالة انتقالي إلى بيت أخي وافقت والدتي وهي ترفع يديها بالدعاء للالة حليمة

بطول العمر وبالسعادة والهناء. لحظة الفراق في قصر سيدي الشيخ كانت صعبة، رأيت الدموع في عيون لالة حليمة والحفيدات والخادمات وحتى في عيني السي عثمان، لكن في قرارة نفسي أحببت قرار أخي. تلتقي نظراتي بنظرات السي عثمان وأنا أغادر الباب الكبير للقصر، كان هو واقفا وكأنه ينتظر شخصا وقبل أن أبلغ بيتنا ناداني وسلمني كراسا بدا الكراس الذي أهداني السي عثمان جذابا بأشكال الورود التي رسمت على غلافه وبأوراقه الملساء، تفوح منه رائحة جميلة. تساءلت إن كان السي عثمان هو من رسمها لكنني شهقت من كل هذه الأفكار وأنا أرتجف خوفا قفزت من مكاني وسؤال يهوي على رأسي كمطرقة:لماذا أعطاني السي عثمان ذلك الكراس؟ أخفيت الكراس في حقيبتي ووضعت رأسي على المخدة مستسلمة لنوم عميق الصباح جاء سريعا، استيقظت على صوت الديكة في أعلى السطوح تناولت فطور الصباح كعادتي مع عائلة أخي الأكبر الحاج موسى، لبست الملحفة أردتها بلون وردي، ثم غادرت إلى بيت سيدي الشيخ, كانت الشمس ناعمة ترسل أشعتها خيوط حرير تنسج لنا رداء من دفئ والحياة تدب في المدينة. وصلت إلى بيت سيد الشيخ الباب الخارجي الكبير كان مواربا قليلا، دفعته ودخلت الباحة لأجد الخادمات ينظفن البيت بنشاط غير عادي. الحفيدات أيضا كن منشغلات باختيار ما يلبسنه من ثياب، لذلك قفزن نحوي بمجرد رؤيتي وكلهن سعادة بمجيئي لمساعدتهن في الاختيار انتهت أعمال تنظيف وترتيب القصر, وأصبح الغداء جاهزا، وضعت الخادمات الموائد وعليها الأكل، ثم جلسنا جميعا لتناول الغداء، أخذت لي مكانا بجنب الخادمة زازة مقابل لالة حفصة حفيدة سيدي الشيخ،كانت زازة بحنان أم تتفقد الحاضرات إن كن يأكلن اغتنمت الفرصة ودنوت أكثر منها لأسألها عن سر هذا النشاط الغير عادي، ضحكت وهي تدس قطعة لحم في فمها، وتصب الماء في إناء من طين تفوح منه رائحة القطران، تشير لي بيدها وهي تمضغ أن أصبر عليها، مدت الخادمة زازة يدها وضربت كتفي وهي تخبرني بأن لالة حليمة ستقيم مأدبة غداء خاصة في يوم الغد، ودعت إليها زوجة أحد أعيان المدينة لالة ماما وأبنتها لالة فاطمة الزهراء، ثم أسرت إلينا بأن لالة حليمة تنوي أن تخطب لالة فاطمة الزهراء للسي عثمان لعل الله يرزقهما الذرية الصالحة. كنت أنا لا أزال

تحت تأثير المفاجئة وخبر خطبة السي عثمان، لكن ذلك لم يمنعني من ملاحظة ذلك الحديث السري الذي كان يدور بين الحفيدة كلثومة وا ٍحدى الخادمات ومع المساء لم تعد لي رغبة في البقاء في بيت سيدي الشيخ فضلت العودة إلى بيتنا وحفظ دروسي لاجتياز شهادة التعليم المتوسط الجسر الذي سيوصلني إلى مرحلة الثانوية، في صباح اليوم التالي لم أصح على صوت الديكة، بل على صوت حبيب إلى قلبي، صوت والدتي لالة مريم التي عادت مع الفجر من بيت أهلها، خرجت من غرفتي مسرعة لأرتمي في حضنها قبلتني واحتضنتني وهي تبكي، سحبتها من يدها دون أن أبالي بأخي وزوجته ودخلنا غرفتي كنت بحاجة لجرعة حنان ز ائدة أخبرتني بأن بقائي مع إخواني لا يمنعني من زيارة أهلها، أومأت بالموافقة فبدوري كنت مشتاقة لجدتي وأخوالي، سألتها عن سبب مجيئها في هذا الوقت قبلت رأسي وهي تقول:"جابتني محبة لالة حليمة". ثم أخبرتني بأن لالة حليمة أرسلت في طلبها لأمر هام. كانت بحاجة لشراء حلية ذهبية هدية لعروس السي عثمان كان سكان تيمي في تلك الفترة يستعدون لإحياء عاشوراء الخادمة زازة كانت تؤكد لنا دائما بأن أحسن فترة للخطبة والزواج هي عاشوراء كي يبارك الله للشباب ويكونوا سعداء في حياتهم الجديدة، توجهت مع أمي إلى بيت سيدي الشيخ، استقبلتنا لالة حليمة والبنات والحفيدات استقبالا حارا وهن يعبرن عن شوقهن الكبير لوالدتي لالة مريم. وضعت الخادمات صينية الشاي وأطباق الرقاق والفول السوداني خبز أنور الشهي والسمن والعسل، كنا نحتسي الشاي ونأكل من مختلف الأصناف الموضوعة عن الموائد ثم أشارت لالة حليمة لوالدتي أن تتوجها إلى جناحها الخاص. هناك سلمتها مبلغا ماليا كي تشتري هدية عروس السي عثمان لالة فاطمة الزهراء وهي تؤكد لها بأنها الوحيدة التي تثق فيها عندما يتعلق الأمر بشراء الذهب، أشارت إلى والدتي بالنهوض من أجل مرافقتها، ودعنا الجميع وانصرفنا، السماء كانت شاحبة، والشارع بدا لي يومها طويلا ولم أدرك لذلك سببا الأبنية الحمراء بدت لي يومها نسوة تتلصصن علينا لرؤية هدية عروس السي عثمان. وقوفي أمام المحل جعل إحساسا غريبا يسيطر علي، لم أكن أسمع صوت والدتي وهي تطلب رأيي في بعض القطع الذهبية شدت ذراعي وهي تسألني. "وين راكي".

حاولت رسم ابتسامة على وجهي وأنا أخبرها بأن عقلي أخذته تلك القطع الذهبية الفاتنة. لالة حليمة سعدت كثيرا بما جلبته والدتي من قطع ذهبية قبلتها وهي تؤكد لها بأنها الوحيدة التي يعتمد عليها في مثل هذه الأمور، ثم أعطت إذنا للخادمة زازة بأن تطلق زغرودة. وما هي إلا لحظات حتى دخلت عمة السي عثمان الكبرى وأخواتها والخادمات معهن يحملن أصنافا من الهدايا وضعت الهدايا أمام لالة حليمة التي رفعت يديها بالدعاء أن يبارك الله هذا الزواج، ظلت الزغاريد تردد في الشارع الذي قطعناه مشيا على الأقدام إلى بيت العروس، وروائح البخور تتصاعد من مختلف البيوت التي مررنا بها. دخلنا والزغاريد تتعالى والبخور تعبق لتشيع فينا ارتياحا كبيرا للبيت الذي فرش فناؤه بزرابي الصوف وأفرشة وثيرة جلس الموكب النسائي،تتوسطه لالة مينة العمة الكبرى للسي عثمان تحلقت النسوة حول الموائد يأكلن ويضحكن،والخادمة زازة بين الفينة والأخرى تطلق زغرودة وتقول: -"الله يبارك لسيدنا ولد سيدنا". وما هي إلا لحظات حتى أقبل موكب العروس لالة فاطمة الزهراء تتقدمه خادمتها التي أطلقت زغرودة إيذانا بوصول سيدتها ثم دخلت فاطمة الزهراء تشد يد والدتها، تلبس ليزار تيمي الأصيل,تعالت الزغاريد وأعدت النمارق لتجلس عليها العروس الجميلة. بعد ذلك الاحتفال البهيج عدت مساء ممتلئة يدي بيد والدتي أمي الغالية، وأنا ممتلئة بإحساس جميل كأنني ملكت الدنيا بوجود والدتي قالت لي:"عقبالك بنتي". لم أعر الجملة اهتماما لأني كنت منشغلة بالامتلاء بها، استطردت وهي تنبهني ألا أنجرف وراء حلم الدراسة فأنسى أنوثتي وأنسى أن أكون أسرة. اقتربت منها أكثر، أمسكت بيدها وأنا أطمئنها بأنني سأكمل دراستي وبأنني سأتزوج أيضا، لكن من شخص يكون سندا لحلمي. مدت ذراعيها وهي تحتضنني، ثم رفعت يديها إلى السماء بأن يحقق الله حلمي وأن يحفظني. انسحبت قليلا من حضنها ورحت أسألها عن صحتها وعن صحة الخبر الذي نقله أخي الحاج موسى بأنها مريضة وتعاني في صمت ليلتها تمددت والدتي بقربي ونامت، لكنني لم أستطع النوم مرضها أقلقني واستطاع أن يغير إحساس النشوة الذي عشته بحضورها إلى إحساس بالخوف من فقدها، في الصباح ونحن نحتسي في جناح أخي الحاج موسى أعلنت والدتي عن ضرورة عودتها لقرية أهلها،

صحيح أن حيرة كبيرة تملكتني لكنني وعدتها بالسفر معها إذا أرجأت سفرها إلى نهاية الأسبوع، مشيت مهرولة أتعثر في الملحفة التي ارتديتها على عجل حتى وصلت إلى قصر الشيخ، لحسن حظي في ذلك الصباح كانت لالة حليمة خرجت مبكرا من جناحها وراحت تتفقد الخادمات في المطبخ قبلت يدها فاحتضنتني وقد أدركت بروحها الشفافة كم القلق الذي أفقدني ابتسامتي وجعل الدموع تقف متحجرة في عيني، دعتني لالة حليمة للاقتراب منها ثم ضمتني إلى صدرها وهي تقول:"مالها وريقة الحنة". حاولت مسح دموعي وأن أخبرها عن مرض والدتي، صحيح أنها حاولت التهدئة من روعي وهي تقول لي: "لا تخافي يا بنتي، رحمة الله واسعة". ثم أشارت على الخادمة التي اقتربت منها فطلبت منها أن ترسل في طلب الطبيبة ريم. غادرت القصر قبل أن تراني الحفيدات، اصطدمت في مدخل القصر بالخادم أبا مسعود وهو يحمل سلة مليئة بالخضار والفواكه، لم أفعل كما كل مرة عندما أراه أطلب منه فاكهة،بدت لي المسافة من بيت الشيخ إلى بيتنا بعيدة، كنت أعدو كمجنونة، وكلما رآني شخص يعرفني إلا وتساءل:"ما بها وريقة الحنة؟". وصلت أخيرا إلى بيتنا توجهت إلى جناح أخي الحاج موسى كنت أمي تمسك بطبق العدس لتنقيته لإعداد وجبة الغداء أخذت مكاني بالقرب من والدتي وهمست في أذنها بأنها مدعوة لتناول الغداء مع لالة حليمة. لم تكن مجرد وجبة غداء تلك التي دعت إليها لالة حليمة والدتي والطبيبة ريم، الطبيبة ريم تأخذ على عاتقها مهمة الكشف على زوجة سيد الشيخ وبناته،كانت معروفة بمهارتها وبحكمتها، ابتسمت الطبيبة ريم وهي تسمع حديث لالة حليمة وقالت:مرحبا علي. أما والدتي لالة مريم فلم تنبس ببنت شفة،ظلت صامتة والقلق باد على محياها، تمددت لالة حليمة على زربية الخملة، وقامت الطبيبة ريم وهي تحمل السماعة الطبية وجهاز قياس ضغط الدم. ثم راحت تفحصها، زاد قلق والدتي استمحت لالة حليمة في الانسحاب، لكن لالة حليمة وهي تنهض رفضت السماح لها بالمغادرة إلا بعد أن تكشف عليها الطبيبة، كنت أجلس القرفصاء على طرف الفراش، أتأمل ارتعاش أطراف والدتي حتى أغمي عليها فجأة، ارتبكت أخذت أصرخ، لكن لالة حليمة هدأت من روعي وهي تطلب مني أن أدع الطبيبة تقوم بمهامها. ظلت الطبيبة

تسعف والدتي حتى استعادت وعيها، استطعت أن أفهم من كلام تمتمت به بأنها طلبت من لالة حليمة الاعتناء بي، قالت لها:"عويشة أمانة عندك". الجملة كانت كفيلة بأن تملأني رعبا. أحسست بجفاف في ريقي، لم تتوقف يدي عن الارتعاش، ولا توقفت الدموع تجرح خدي. حال والدتي لم يكن يطمئن،الطبيبة بخبرتها جعلتها تتحدث وتخبرها عن الورم الذي تطور في ثديها، وضعت الطبيبة ريم مقياس الضغط والسماعة جانبا وهي تخبر والدتي في هدوء بأن لا علاقة للسحر بمرضها إنه مرض خبيث يصيب عديد النساء في العالم. استطعت أن أدرك حينها أن والدتي هي الأخرى كانت ورقة حناء سحقها المرض و رغم ذلك كانت تزين حياتي بحضورها، استطعت أيضا أن ألمح دمعة في عيني الطبيبة، لكنها استطاعت التحكم فيها وهي تزرع فينا الأمل وتطلب من والدتي متابعة تعليماتها وا ٍجراء التحاليل والأشعة. أذكر أن والدتي لم تسافر كما كان مقررا، بل بقيت لتشهد الاحتفال بزفاف السي عثمان ولتقوم بالتحاليل والأشعة اللازمة. تحول القصر إلى كوكب فرح، قدمت الذبائح هدايا من أعيان المدينة،وجاء السكان بهداياهم من قماش وحلي فضية وأواني وأفرشة وأطعمة. وعاشت المدينة على إيقاع البارود وأغاني"الركبية"و"الشلالي"وكل الأهازيج التيماوية والتي جعلت الفرح عنوانا لمدينتنا. ما لا يمكنني أن أنساه هو لحظة التقائي بالسي عثمان وعروسه بعد أسبوع من الزواج،ارتبكت وصارت دقات قلبي تتسارع، لكنه ناداني وقدمني لعروسه على أنني بمثابة أخته الصغرى، أخذ السي عثمان مكانه جنب عروسه مقابل صينية الشاي، تناول الكؤوس، أعطى لعروسه واحدا وأعطاني الثاني، ثم أخذ رشفة من كأسه وهو يسألني إن كنت قرأت شعر نزار قباني الذي أهداني ثم راح يحدثني على ضرورة الانفتاح على ثقافات أخرى ومعرفة ما يقدمه الإنسان في العالم العربي من فن وا ٍبداع في الشعر والموسيقى كانت زوجته تحتسي الشاي مبتسمة ينطق الإعجاب في عينيها برجل فتن بنات تيمي. مذاق الشاي الذي احتسيته مع السي عثمان وعروسه، أبقاني على قيد ابتسامة حاولت أن أرسمها على وجهي وأنا أدخل بيتنا ابتسمت والدتي يومها وهي تدعوني للجلوس بقربها ثم أخبرتني بضرورة السفر ليومين لرؤية جدتي فقد لا تراها بعد اليوم. أذكر أنها ضمتني

إليها بقوة وحنان وكأنها أرادت أن أتماها فيها فنصير كأننا واحدا، مسحت دموعي وأنا أدعوها للتفاؤل، ترجيتها أن تثق في الطبيبة فالعلاج ممكن. عضت والدتي على شفتها جراء الألم وهي تقول لي:"تهلي في روحك"ارتميت في حضنها مرة أخرى تمسكت بالجسد المريض أريد أن أفرغه من ألمه ثم أعلنت لها قراري أن أسافر معها كي أرى جدتي. أخي الحاج موسى لم يمانع هذه المرة كانت المرة الوحيدة التي سمح لي فيها بمرافقة والدتي يوم كانت جدتي مريضة وخشي أن تفارق الحياة دون أن تراني. أكثر من ذلك اقترح علينا أن ير افقنا خاصة وأنه كان اشترى سيارة، الخبر أسعد والدتي كما أسعدني، رغم الحيرة التي سيطرت علينا. اتجهت صوب غرفتي، فتحت بابها بيد ترتجف هلعا ارتميت على فراشي أو انزويت وحيدة أبكي بمرارة هذا الألم الذي يعتصر قلبي، ثم ما كدت أسمع صوت والدتي تناديني حتى مسحت دموعي وحاولت أن أرسم بسمة على وجهي وأنا أفتح باب غرفتي لألبي طلبها،كانت واقفة أمامي بقامتها الطويلة كتمثال روماني، تضع يدها على صدرها من شدة الألم وما كادت تنطق بحرف حتى خارت قواها وسقطت أرضا مغشيا عليها. كاد صراخي يثقب سقف البيت الكبير، سارعت زوجة الحاج وباقي زوجات إخوتي على نجدتي لحسن الحظ كان أخي الحاج قريبا من البيت، حمل والدتي بين ذراعيه القويتين وركض نحو سيارته ولحقت به زوجته عيدة وهي تمسك بيدي لنلحق به. نقلنا والدتي لالة مريم فاتنة سلطان تيمي إلى المستشفى بدا لونها شاحبا وكأنها لم تنم لليال طويلة، فهمت بعد ذلك بأن الأوان قد فات، وبأن والدتي قد تأخرت كثيرا في العلاج، المرض الخبيث قد انتشر في كامل جسدها ذرات الرمل في الخارج كانت انتفضت وتطايرت في الهواء إيذانا بزوبعة جعلت الرؤية صعبة، أو أن تيمي احتضنت والدتي وأبت إلا أن تسكنها جوفها وأن تكون محل مرقدها الأبدي، لفظت والدتي أنفاسها الأخيرة ولفظت ما تبقى لدي من دموع وصراخ وألم، بكت معي السماء، وبكت معي الطبيبة والممر ضات. جنازة والدتي لم تكن أقل من جنازة والدي سلطان الغرام حضرها أعيان تيمي وأشرافه ودفنت لالة مريم، ودفنت معها قطعة من قلبي، تيمي كلها بكت أرملة الحاج جلول وبقيت في هذا العالم وحيدة من يصدق أن العزاء أقيم في بيت الحاج جلول سلطان

تيمي الذي عشقها وعشقته، وجعلها سلطانة على قلبه، من يصدق أن تكون هي أول زوجاته من تلحق به، لكنه في الواقع كان علي تجرع مرارته، صمت غريب أطبق على المكان لأكثر من شهر، لم أعد أثرثر وأطرح الأسئلة كما في السابق ولا عادت الخادمات ينقلن الأخبار والحكايات كما في السابق، كنت بحاجة لوقت كي أستعيد وجهي الذي ضاع مني في المرآة من فرط البكاء، فقد تورمت عيناي. شحب لوني وأخذ أنفي حجما غير عادي، وبعد مرور ثلاث شهور على وفاة والدتي، بدأت لالة حليمة وبنتا الشيخ والحفيدات يحاولن إخراجي من حالة الحزن التي غيرت مذاق حياتي، حاولت الحفيدات إخراجي من صمتي بأحاديثهن عن فارس الأحلام الذي تحلم به كل واحدة منهن. كانت بوادر الحر تلهب أحياء تيمي، فتقل الحركة نهارا ليتحول الليل إلى فضاء لسمر السكان، والخروج لزيارة الأهل والأقارب، حفيدات الشيخ وصديقاتهن كن يغبطنني على ما حققته من نجاح دراسي، وأخذن يحلمن معي باليوم الذي أحصل فيه على البكالوريا وألتحق فيه بالجامعة، لكن المولاة شهقت وهي تقول:"ما عندنا جامعة في تيمي". لكن البنات وافقنها ورحن يواسينني بأن الجامعة ليست بالأهمية التي يمكن أن أتصورها، لكنني عدلت من جلستي وأكدت لهن بثقة كبيرة بأنني سأذهب إلى جامعة وهران في حال حصلت على شهادة البكالوريا، شهقت البنات من المفاجأة، أما الخادمة فانة فضغطت على ذراعي بقبضتها القوية وهي تزجرني وتطلب مني المغادرة كون الوقت تأخر، كان الطريق من بيت سيد الشيخ إلى بيتنا ممتعا بمنظر المصابيح ومنظر الشباب والشيوخ يجتمعون في حلقات لممارسة بعض الألعاب التقليدية بمجرد أن وصلنا إلى بيتنا طرقت فانة الباب بعنف، فتحت أمينة ابنة أخي الباب، سلمنا عليها ولجنا البيت، وفانة لا تكف عن الثرثرة وهي تسأل عن أحوال أهل البيت، سعدت عيدة زوجة أخي بالخادمة فانة، رحبت بها بحرارة ودعتها للبقاء وتناول العشاء معنا، لكن فانة اعتذرت وهي تطلق ضحكتها المعتادة, وتقول لها:"أوصلت الأمانة"مشيرة إلي الخادمة فانة وبكل محبة وتلقائية كانت تأتي لمساعدتنا في أشغال البيت، فنقضي معها وقتا ممتعا نتسلى ونضحك، فانة كانت تذكرني كلما التقينا بالأيام الماضية التي كنا نجتمع فيها في دار سيدي الشيخ، نطالع المجلات،

والآن لم نعد نلتقي إلا في العطل خاصة بعد زواج الحفيدات الواحدة تلوى الأخرى وا إنجابهن لأطفالهن أخذ من اهتمامهن وقتا كبيرا فالحفيدات لم يكن يعتمدن في تربية أبنائهن على الخادمات، أصبحن يتابعن الأفلام والمسلسلات الجميلة ولم يعدن منشغلات بالحرف اليدوية الجميلة، ولم يعد اهتمامهن كبير بالمجلات، ذكرت لي فانة ذلك بنبرة فيها الكثير من الحزن وهي تذكرني بتلك اللحظات الجميلة التي كنا نقضيها في الاستمتاع بالصور الفاتنة للعارضات والفنانات. تنهدت فانة، ثم عادت لترسم ابتسامة على وجهها وهي تسترجع صورة الخادمة عاشورة وهي تهيم مع الأغاني العاطفية وتراقص الفراغ. أما يوم حصولي على شهادة البكالوريا فكان الحدث كسر الجمود في المدينة، فرحة أخي موسى كانت لا تضاهى أقام الولائم خص لها الذبائح وألذ المأكولات، سيد الشيخ هو أيضا أعطى الإذن لحرمه لالة حليمة لتقيم لي حفلا في القصر يومها غمرتني لالة حليمة وبنات سيدي الشيخ وحفيداته بالهدايا سعادتي كانت غامرة وزادت أكثر عندما أخبرني أخي الحاج موسى بأنه وضع كل الترتيبات ليرافقني إلى مدينة وهران لأواصل دراستي في الجامعة، زغردت يومها وغنيت واحتضنت ابنته الصغرى أمينة التي كانت في مثل سني، بعد عودتنا إلى البيت لم أعد أتعرف على خالي ونحن نتحلق حول المائدة نلتهم الكسكس الشهي لقد أصبح في لحظة شرسا بعد أن سمع أخي الحاج موسى وهو يتحدث عن ضرورة سفرنا بعد أسبوع بغرض التسجيل في الجامعة، خالي رمى الملعقة من يده دون أن يشعر وهو يقول:"هذي ما تكون سي الحاج". ثم راح يذكرنا بالعار الذي سيلحقنا جراء مخالفتنا العرف، ستنبذنا القبيلة، وسيكثر القيل والقال كلما انتقلت وعدت،حاول أخي الحاج موسى استيعاب الموقف توقف عن الأكل، وراح بهدوئه وحكمته يشرح لخالي ضرورة أن نعيش عصرنا من حق الفتاة أن تتعلم وأن تحقق أحلامها. كانت جدتي ترسم على ملامحها الكثير من الرضا والإعجاب بحفيداتها. مدت يدها وهي تحكم قبضتها على ذراع خالي وتهمس في أذنيه:"خل البنية تعيش وقتها". لم يكن خالي الوحيد الذي اعترض على سفري وعلى مواصلة دراستي، حتى إخوتي قاطعوني، واتخذوا موقفا من أخي الحاج موسى. أخي الحاج موسى أخبر أهلنا وكل المعارضين لسفرنا بأنه ينفذ وصية والده

الحاج جلول في تحقيق أحلام عويشة. أخي وفى بوعده أمتعتنا، ودعت لالة حليمة والحفيدات والخدم، ودعنا عيدة وبنات أخي الحاج موسى وسافرنا إلى وهران. الخريف في مدينة وهران كان يختلف عنه في مدينتي تيمي ففي وهران كان وجه السماء شاحبا وكان البحر يعلن عن برودته إيذانا بانتهاء موسم الاصطياف أما في تيمي فالحرارة كانت شديدة، انتبهت خيرة أول طالبة أصادفها في مدخل الجامعة إلى الحناء التي تزين كفي، سألتني إن كنت عروسا ضحكت وأنا أجيبها بالنفي هي كانت من مدينة سعيدة، كنت أمازحها فأقول لها:"سعيدة بعيدة والماشينة غالية". فتضحك هي وهي تغني لي أغنية "قماري"للمطربة الأدرارية عائشة لبقع فصارت من يومها صديقتي المقربة ورفيقتي في الغرفة في الحي الجامعي البنات خيرة كانت يتيمة الأم وكانت لها متاعبها الكثيرة مع زوجة والدها وا إخوتها غير الأشقاء كانت تقول لي:"وهران كبيرة غادية تهملي فيها". هذا ما لمسته فعليا وهي تمسكني من ذراعي وتجوب بي شوارع مدينة وهران، لوني الأحمر جعل الأساتذة والطلبة يسألونني إن كنت من الجنوب فأجيب أنا من تيمي. لا أحد تعرف على التسمية وكلما استفسر أحدهم وضحت له بأن تيمي هو الاسم القديم لمدينة أدرار، عودت زملائي في المعهد أن ينادونني عويشة التيماوية بدلا من عويشة التواتية أو الأدرارية حتى أن أستاذي حمزة عبر لي عن إعجابه بي لكن أعجاب ابن مدينتي محمد ولد الحاج العربي كان له وقع خاص في نفسي، وكان نبض الفرح في غربتي كان على مشارف التخرج وكنت أنا لا أزال أدرس في السنة أولى جامعي كنت أقضي وقتا طويلا في الحديث معه كلما سنحت الفرصة بذلك، معه اكتشفت البيتزا، كنت آكلها وأقول له:"الرقاق نتاعنا أحسن منها"،معه أيضا تذوقت أنواعا من السمك الشهي فصار رفيقي، حتى حين أغادر وهران يكون ملازما لي فنركب نفس الحافلة عائدين إلى مدينتنا تيمي. محمد هو الآخر كان معجبا بطموحي بذكائي بطريقتي في الحديث والتعامل مع الآخرين باعتزازي بعادات وتقاليد تيمي كان مطمئنا لسمرتي كانت تخلصه من الشعور بالغربة، وتعيد له نسمات سواقي الفقارات في البلاد كان يقول لي بأنني :"وريقة حنة"، وحبة تمر وساقية يرتوي منها فيتخلص من العطش لمدينتنا أدرار. قال لي كل ذلك وحلقنا في سماوات

العشق في الحافلة التي كانت متجهة من أدرار إلى وهران، حدثني عن رغبته في الزواج مني ووعدني بأن يجعلني أسعد إنسانة في هذا العالم. كانت ابتسامتي كافية لتوحي له بسعادتي الغامرة لوجوده في حياتي، لكن توقف الحافلة المفاجئ جعلنا نقلق، كنا في المقعد القريب من السائق سمعنا صوت شخص يحذره بأن حاجزا مزيفا في طريق غيليزان نفذ جريمة بذبح عشرين شخصا، تسارعت ضربات قلبي، لم أشعر إلا وأنا أصرخ وأطلب من سائق الحافلة أن يعيدني إلى مدينتي، حتى أنه أغمي علي ولم أستعد وعيي إلا وأنا في مصلحة الاستعجالات الطبية بمستشفى وهران قمت فزعة أتحسس رقبتي أسأل محمد إن كنا فعلا على قيد الحياة، الأمر تطلب مني وقتا كي أستعيد شيئا من الهدوء الذي يمكنني من مغادرة المستشفى. عدت يومها إلى الحي الجامعي للبنات مرهقة محبطة مشتتة التفكير استقبلتني خيرة التي كان لونها شاحبا من فرط خوفها بكيت ليلتها بمرارة، بكيت كل أولئك الذين ذبحوا بكيت وطني الجريح. وفي الصباح كان محمد ينتظرني في مدخل الحي الجامعي جريت نحوه أطمئن عليه،حاولت أن أبتسم لعلي أبدد مخاوفه وقلقه فقلت له:"أنا وريقة حنا ما تخافش علي". لكنه أخبرني بأنه قرر العودة إلى أدرار والالتحاق بسلك التعليم وعلي أن أعود معه،أخبرني أنه من حقنا أن نؤسس أسرة وأن نكون سعيدين، تشابكت أص‌ابعه وهو يؤكد لي بأنه من حقنا أن نتمتع بالحياة وأن ننتصر على أخبار الموت والحزن، فما الذي يجعلنا نبقى هناك لنموت؟. يومها عارضته وصرخت في وجهه بأنه علينا التحلي بالشجاعة والصبر والإصرار على إكمال دراستنا أذكر أنه غضب مني وخيرني بين العودة معه، وبين البقاء في وهران على أن أنساه تماما، الاختيار كان صعبا. خيرة صديقتي كانت معجبة بعلاقتنا،حتى أنها قالت لي في ليلة اشتد بردها، ولم يسكت فيها صوت الرصاص بأننا بحاجة إلى الحب لننتصر على الموت الذي يحاصرنا، أكثر من ذلك قالت لي ليلتها:"تزوجي محمد يا عويشة". بكيت ليلتها، لكنني بكيت أكثر يوم غادرت خيرة الحي الجامعي إلى مدينة سعيدة مع حلول عطلة الربيع، بت ليلتها وحيد ة في الغرفة لا أستطيع النوم من شدة خوفي وأنا أسمع صوت طلقات رصاص متقطعة،ومع الصباح غادرت وهران متجهة إلى"البلاد"إلى تيمي.

أمضيت أسبوعا من القلق، لم أعرف لمحمد ولد الحاج العربي مكانا، ذهبت إلى بيت أهله أسأل عنه بحجة الاطمئنان عليه بعد الأحداث الأخيرة، أنكرت أخته وجوده، غادرت يومها بيتهم والحزن يعتصرني، ثم غادرت تيمي دون أن أودع لالة حليمة ولا الحفيدات أذكر يومها أن الخادمة فانة لحقت بي إلى محطة المسافرين، ترجتني ألا أسافر لكن طموحي كان أكبر من الخوف، وعت فانة احتضنتها بقوة وا ٍحساس بداخلي يصورنا أوراق حناء تفتت وتأخذها الريح، وضعت قدمي في الحافلة وكأنني أضعها على عتبة الموت كنت أنا الفتاة الوحيدة والباقي رجال، رحلتنا تلك كانت أشبه برحلة إلى الجحيم، لذلك لم أصدق بعد وصول الحافلة إلى وهران بأننا نجونا، وبأن لا حاجز مزيف اعترض طريقنا وصلت مع العصر إلى الحي، الجميع بدا لي حزينا رفعت بصري فإذا بي ألمح لافتة في مدخل الحي كتبت عليها أسماء الطالبات اللواتي ذبحن في حاجز مزيف كان اسم خيرة يتصدر تلك الأسماء,وقعت يومها مغشيا علي حملتني الطالبات إلى العيادة، استعدت وعيي، بكيت بكاء مرا لم أنم ليلها،ومع الصباح غادرت الحي وا ٍحساس يسيطر علي بأنني متوجهة إلى المجهول فقد لا أرى وهران بعد ذلك اليوم الحزين، قد تكون تلك المرة الأخيرة التي أشتم فيها رائحة بحرها،البحر الذي أحسسته يبكي خيرة يبكي كل الذين ذبحوا ككباش لا يعلمون بأي ذنب ذبحوا. غادرت الحي الجامعي مثقلة بحقيبتي وبوجعي، لم أودع الأستاذ حمزة، لم أودع زملائي، لم أودع غير زميلتي ابنة مدينة معسكر التي أهديتها هدايا الفقيدة خيرة وحارس الحي الجامعي الذي عز عليه فراقي، أذكر أنه عندما وصلنا إلى محطة المسافرين، ترجل السائق عن سيارته فتح صندوق السيارة سلمني حقيبتي وهو يهمس: "اتهلاي في روحك"انطلقت الحافلة إلى المجهول أغمضت عيني وكأنني أقلعت في سفر آخر كي لا أواجه مصيرا مأساويا. المعجزة حدثت مرة أخرى ولم يصادفنا حاجزا مزيف، لم أصدق بأنني نجوت، من فرط فرحتي نزلت دون أن آخذ أمتعتي، راح سائق الحافلة يضغط على بوقها لينبهني،انتبهت وعدت سريعا، توجهت إلى سيارة أجرة تقلني إلى بيت أهلي طرقت الباب فتحت ابنة أخي لتصرخ من شدة فرحتها بعودتي:"عويشة رجعت ،عويشة رجعت". أما فرحة أخي الحاج موسى فكانت لا توصف احتضنني بقوة

وكأنني عدت من موت محقق لم ننتبه من نشوة الفرحة إلا على طرق قوي على الباب، لتدخل الخادمة فانة ودموع الفرحة تسبقها وقفت لأسلم عليها فاحتضنتني بقوة وهي تقول: -"على سلامتك عويشة الحبيبة، على سلامتك يا وريقة الحنة". لالة حليمة بحكمتها وهدوئها أخبرتني بأنها سعيدة لتمكني من الحصول على شهادة البكالوريا ودخولي إلى الجامعة، لكن بعد أن ساءت الأوضاع الأمنية اعترفت لي بأنها لم تكن تتمكن من النوم من شدة خوفها علي. حديثها هذا غمرني بطمأنينة كبيرة، وأنا ألمس حبها الصادق لي وكأنني ابنتها، صرت متأكدة أن الفرح الحقيقي في عرفنا هو أن يصبح لي زوج وأولاد، أما الطموح الذي كنت ألهف خلفه لم يكن الفرح الحقيقي الذي تتوق إليه الأنثى ورقة الحناء الجميلة التي تبقى وظيفتها الأساسية تزيين العائلة، مر الوقت سريعا ووجدتني مضطرة للعودة إلى بيت أهلي، وصوت في داخلي لا يكف عن الصراخ أن أحاول الاتصال بمحمد ولد الحاج العربي, لمحت من بعيد الخادمة فانة تجري مقبلة ناحيتي أمسكتني من يدي وهي تلهث، سحبتني وخرجنا من البوابة ولما اطمأنت بأننا ابتعدنا عن دار الشيخ، شدت ذراعي بقوة وهي تخبرني بأن محمد ولد الحاج العربي لم ينسني، ابتلعت ريقي وأنا أسألها عن سبب حديثها هذا، أخبرتني فانة كيف عيني محمد لمعتا فرحا عند سماعه لهذه الأخبار، وأنه سحب قطعة نقدية من جيبه وأعطاها لفانة لأنها أسعدته بهذا الخبر ووجدت نفسي غير نادمة كوني أخبرت فانة عن المشاعر الجميلة التي نشأت بيني وبين محمد ولد الحاج العربي يوم جاءت لاستقبالي في محطة الحافلات طارت يومها فانة فرحا قبلتني واحتضنتني وهي تخبرني بأنني الآن صرت أنثى كباقي البنات، علي أن أفكر في الزواج والإنجاب، أكدت لها بأنني سأنجح في دراستي وسأتزوج وسأنجب الأطفال، ثم تمط شفتها السفلى الغليظة بخبث وهي تقترح علي فكرة سبق أن اقترحها علي محمد لما شعرت بشوقه الكبير لي، وهي أن نلتقي في الجنان مع بداية الصباح. في الواقع الفكرة راقت لي لكنني ارتبكت والتزمت الصمت، تشابكت أصابع يدي وأنا أقف عند مدخل بيتنا، وقفت عاشورة، ثم اقتربت مني وهي تقول لي بأنها ستكون بانتظاري مع طلوع الشمس أمام قصر سيدي الشيخ, تركتني أغرق في بحر من الحيرة،

فتحت باب غرفتي، دخلت منهكة القوى وشعور بأنني أسبح في الفراغ تمتلكني، كنت يومها مفرغة من الحياة لشدة قلقي وارتباكي وخوفي من المغامرة التي اقترحتها علي الخادمة عاشورة. أذكر أنني ليلتها لم أستطع تناول وجبة العشاء، ولا تمكنت من النوم، رسمت لنفسي أحلاما كثيرة، استحضرت لحظاتي الجميلة مع محمد، لكن صياح الديك إيذانا بحلول الصباح بعث في نفسي خوفا كبيرا أن ينهض أخي وأن يكشف أمري. لاحت لي فانة من بعيد تلبس ملحفة بنية اللون، كانت تقف مستندة إلى عمود الكهرباء وجهها بدا شاحبا يظهر عليه بعض التعب، لكن حماسا كبيرا كان يدفعها للمقاومة من أجل أن ينتصر الحب، ابتسمت دون أن أعلق على حديثها، تأبطت ذراعي وهي تطلب مني أن نسرع فمحمد في انتظارنا، ثم انطلقنا في اتجاه الجنان. فانة كانت تدفعني بحماس وهي تطلب مني أن أسرع أكثر، ولم أشعر إلا وأنا أفقد توازني وأسقط بجنب الساقية صرخت عاشورة، فإذا بمحمد يجري نحونا، زاد ارتباكي، نفضت الأتربة عن الملحفة التي كنت أرتديها، وقف محمد أمامي وهو الذي سبقنا واتخذ له مكانا تحت نخلة بدت عراجينها مثقلة بتمر شهي انتصب واقفا وهو يلمحني، أتعثر وأسقط ،أو أنني بدوت سعفة نخيل تهزها الريح فلا تقاوم، تمسكت بيد فانة ومحمد يسألني-"ياك لباس عويشة؟" قلت:- "لاباس. حاولت أن أدس وجهي خلف ظهر فانة متمسكة بذراعها وفانة لا تكف عن الضحك وهي تقول لمحمد: -"المعلمة نتاعنا خايبة". انفجرنا ضاحكين من الموقف، في غمرة ضحكنا سلت فانة يدهامن ذراعي لتتركني في مو اجهة قدري، التفت أبحث عنها فلم ألمح لها أثرا، لكن شدني صوت محمد وهو يقول:"هذي غيبات يا وريقة الحنة". تحدثنا عن التحاقنا بسلك التعليم وعن عملي، ضحك وهو يقول لي بأنني أول فتاة في تيمي تسافر خارج المدينة لتدرس في الجامعة ثم أردف قائلا بأنه لا يمانع إن وافقت على الزواج به أن أعمل، أكد لي بأن لا مانع لديه الفكرة أسعدتني كثيرا، عبرت له عن موافقتي وعن سعادتي به، لا أنكر أنني كنت أختلس النظر بين الفينة والأخرى لعينيه الجميلتين ولهيأته وابتسامته الساحرة، اعترف لي بأن فانة هي من بادرت إلى تشجيعه على ضرورة اتخاذ خطوة إيجابية، فانة هي التي أخبرته بأنه ما زال سكين قلبي وحبه

يرسم تفاصيل أحلامي، لم أجد إجابة مناسبة لحديثه فقلت:"فانة هايلة". ابتسم وهو يوافقني ويردف قائلا: -"فانة وريقة حنة". انفجرت ضاحكة وأنا أدرك أنه وظف العبارة التي كنت أرددها دائما أيام الجامعة لأثبت له بأنني قوية أستحق الحياة. ابتسم محمد متجاوبا مع سعادتي وارتياحي له، ثم أذن لي بالعودة، وهو يكرر لي وعده بأن تأتي والدته في أقرب وقت لخطبتي، ثم افترقنا. في اليوم الموالي جاءت والدة محمد العربي خالتي مبروكة ترافقها أخواته لخطبتي استقبلتهن عيدة زوجة أخي الحاج موسى استقبالا حارا، جلست بالقرب من خالتي مبروكة بطلب منها، كان العرق يتصبب مني بغزارة ويغرقني، لكن بحديثها الحلو وابتسامتها جعلتني أستأنس لروحها الجميلة، في اليوم الموالي جاء والد محمد يرافقه أخوه الأكبر وعمه، استقبلهم الحاج موسى بفرحة كبيرة،قرأو الفاتحة و حددوا موعد الخطبة بكيت ليلتها في حضن جدتي، بكيت وكلي شوق للتطلع في وجه والدتي الراحلة لالة مريم, كم تمنيت لو كانت حاضرة معي وأنا أعيش فرحة العمر. أقمنا حفل الخطوبة في بيت والدي، وبعد شهرين أقمنا العرس, سعادة حماتي خالتي كانت كبيرة وهي تجد نفسها تجلس إلى نفس المائدة مع السيدة الجليلة لالة حليمة زوجة سيدي الشيخ. وليمة استضافتي كعروس تزامنت مع ازدياد فراش السي عثمان بمولودة غيرت حياته وغيرت أشياء كثيرة في القصر أخيرا وبعد انتظار طويل حقق السي عثمان حلمه في الأبوة، وصار أبا، أقيمت الولائم في القصر وظل تلاميذ الزاوية يرتلون القرآن بطلب من الشيخ حمدا لله الذي استجاب لدعائه ولم يحرم ابنه الوحيد من الذرية. دخولي الحياة الزوجية جعلني أنظر إلى العالم بمرآة صقلها محمد بقلبه العاشق وبرغبته في إسعادي انتبهت أيضا بأن الإنسان في هذا الوجود ورقة حناء لا تكف عن التكاثر، أينما زرعت بذرتها تتكاثر لتزين الحياة فالأولاد زينة الحياة الدنيا، فإما أن نتكاثر وغما أن نسحق، ويوم تحرك حبنا في أحشائي جنينا طرنا فرحا،لم نصدق بأنه سيصير لنا طفل له عينان ويدان ورجلان طفل يشبه كل الأطفال يقول لي: أمي ويقول لمحمد أبي. فرحة محمد كانت كبيرة جدا، كم كنت بحاجة لوجود أمي إلى جانبي لكنني كنت أحضن الفراغ عوضا عنها وأحلم باليوم الذي يخرج فيه مولودي إلى الحياة الولادة لم تكن عسيرة وهذه كانت معجزة أخرى

من المعجزات التي حدثت لي في حياتي ولدت بشكل طبيعي، لكن المولود كان أنثى، أخيرا صرت أما سعادتي كانت لا توصف محمد وكل أفراد أسرته فرحوا بصغيرتي، تلك القطعة من روحي تقدمت مني حماتي وهي تهديني أسورة من فضة وتخبرني بأنهم اختاروا لمولودتي اسم جدة محمد رحمها الله:حليمة. والموت الذي هرب منه محمد في حاجز مزيف في الطريق إلى وهران، لقيه في تيمي وهو يسرع الخطى من المستشفى إلى البيت ليجلب لي أغراضا، يومها أحسست بأن روحي سحقت، ولولا ابنتي حليمة لما عاد لحياتي معنى بعد رحيله. كنت أقف على قبره وأنتظر مع كل موسم أن تمد أوراق الحناء سيقانها، أن تعيده إلى الحياة لونها بهيا ورائحة مبهجة. حتى بعد أن كبرت حليمة وأكملت دراستها وأصبحت طبيبة، واختار لها القدر عريسا من خارج تيمي، لم أغير اللون الأسود في عرسها. ابنتي حليمة هي الأخرى كانت مثل والدتي وأخوالها بذرة حناء تنبت أينما زرعت، وتمتد سيقانها تمنع بهجتنا وأفراحنا بكيت فراق ابنتي حليمة بكيت بعدها عني رغم سعادتي لأجلها، كنت أجدني شبيهة بوالدتي لالة مريم هي الأخرى قامت بتربيتي وحيدة بعد وفاة والدي الحاج جلول وأنا قمت بتربية ابنتي حليمة وحيدة دون زوجي محمد العربي، وجدتني أشترك معها في هذا القدر، وجدتني أسحق ورقة حناء في وحدتي بعد أن تقدم بي العمر.

نبذة عن حياة الروائية

جميلة طلباوي:Djamila Talbawi مذيعة وكاتبة جزائرية من مواليد1969 بشار في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، متحصلة على شهادة مهندسة دولة في الميكانيك بناء حراري من جامعة بشار1995، ذات جنسية جزائرية، منشطة إذاعية الإذاعة الجزائرية محطة بشار الجهوية للإذاعة والكتابة الأدبية و الشعر لها عدة إصدارات.

أهم نتاجاتها(إصداراتها):

- شظايا مجموعة شعرية عن جمعية الجاحظية عام2000.
- وردة الرمال رواية قصيرة صدرت عن جمعية الجاحظية عام2003.
- شاء القدر رواية قصيرة صدرت عن جمعية الجاحظية عام2006.
- أوجاع الذاكرة رواية قصيرة عن منشورات دار الثقافة لولاية بشار2008.
- كمنجات المنعطف البارد مجموعة قصصية صدرت عن دار فيسيرا للنشر عام 2012.
- الخابية رواية صدرت عن المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار أكتوبر 2014.
- وادي الحناء رواية عام2017 عن دار ميم للنشر.
- قلب الاسباني عام 2018 عن دار الوطن اليوم.
- قصص أخرى منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2008.
- نشرت العديد من الأشعار والقصص القصيرة في الصحافة الوطنية والعربية:
  - الجمهورية الأسبوعية، الخبر، المساء، مجلة كتابات معاصرة لبنان
  - جريدة العنوان الدولي سوريا
  - المواقع الإلكتروني: أصوات الشمال- مركز النور- القصة العربية.

الأعمال التلفزيونية:

- على ضفاف وادي قير، برنامج عرف يعنى بالموروث الثقافي الشعبي لدائرة العبادلة عام2001.
- المولد النبوي الشريف ببني عباس عرف هذا البرنامج بعادات أهالي بني عباس في إحياء المولد 2000.
- عضو لجنة التحكيم في المهرجان الوطني للفيلم القصير- تاغيت الذهبي- نوفمبر 2007.
- تنشيط برنامج بين الثانويات.

الجوائز:

- جائزة أحسن قصة قصيرة نلتها في مسابقة أدبية نظمتها بمعية أحمد رضا حوحو ببشار عام 1991.
- جائزة أحسن منشطة إذاعية نلتها في مسابقة نظمتها إذاعة تبسة المحلية عام 1996.
- الجائزة الثانية في مسابقة نظمها اتحاد الكتاب الجزائريين فرع قالمة على هامش ملتقى النسوية ماي2011.
- الجائزة الثالثة في الشعر في المسابقة التي نظمها المهرجان الوطني للشعر النسوي المنظم بمدينة قسنطينة أكتوبر 2011.

النشاطات:

- عضو المجلس التوجيهي بدار الثقافة لمدينة بشار 2007.
- عضو لجنة تنظيم مهرجان الفنون الشعبية لولاية بشار بوهران2008.
- المشاركة في الأيام الثقافية للقصور ببشار بمداخلة حول المرأة القصورية 2008.

- المشاركة في ملتقيات أدبية وأمسيات شعرية داخل الولاية.
- المشاركة في المهرجان الثقافي للشعر النسوي في طبعتيه قسنطينة.
- صدر اسم جميلة طلباوي في معجم الشاعرات الجزائريات من إنجاز الدكتور يوسف وغليسي من جامعة قسنطينة عام2008.
- عضو المجلس الوطني للفنون والآداب من جوان 2015.

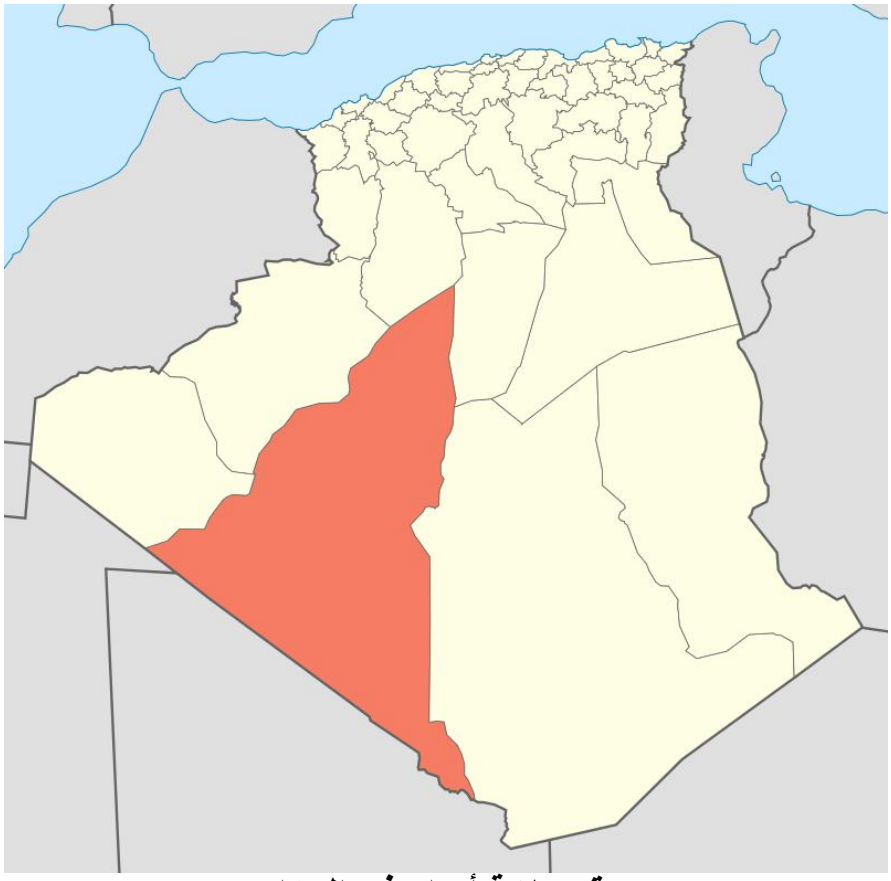

موقع ولاية أدرار في الجزائر

أقاليم ولاية أدرار

لمحة عن مدينة أدرار

تقع أدرار جنوبا بالصحراء الجزائرية وهي عاصمة ولاية أدرار ثاني أكبر ولاية بالوطن بعد تمنراست من حيث المساحة حيث تبلغ مساحتها 633كم مربع (244ميل2).

تعرف الولاية بأنها تحتل مساحة معتبرة من إقليم توات التاريخي، الذي شهد في القرون الماضية حركة تجارية وعلمية كبرى، وكان مركز إشعاع علمي جنوب غرب إفريقيا، بسبب تواجد عدد مهم من الزوايا والمدارس الصوفية أكبرها وأشهرها حاليا **مدرسة الشيخ سيدي بالكبير**.

تعد مدينة أدرار العاصمة الإدارية والاقتصادية لولاية أدرار، وهي مدينة حديثة النشأة، فقد أسست في عام 1906م، شهدت هذه المدينة نموا وازدهارا بعد الاستقلال، نتيجة لمشاريع البنية التحتية والاجتماعية والإسكانية التي قامت بها الدولة الجزائرية على مدى عقود، مما انعكس على تطور وتحسن نمط العيش والحياة، كما تجمع هذه المدينة كافة المصالح الإدارية والاقتصادية للولاية.

تضم بلدية أدرار تسعة(09)قصور هي:1- أدرار 4- بربع7- أولاد علي2- أدغا5- أولاد أونقال8- تيليلان3- أوقديم 6- أولاد أوشن9- مراقن

ويوجد بها إقليم توات التاريخي ويرجع إلى أواخر القرن 09ميلادي وقد كانت ممرا نحو إفريقيا جنوب الصحراء(السودان حسب نعت المحليين لها)في تجارتهم حيث جعلوا منها محطة سفر لهم.

تعرف أدرار بتنوعها الثقافي والاثني، والتي ساهمت فيها قرون من الحركات التجارية والعلمية،بسبب كونها همزة الوصل بينها وبين غرب الجزائر وا ٍفريقيا جنوب الصحراء، من خلال قوافل التجارة، كتجار الملح والتمور والذهب والنواعم.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1- ابن منظور: لسان العرب (مادة ضمر).

2- المنجد في اللغة والأدب والعلوم.

3- جميلة طلباوي: رواية "وادي الحناء"دار ميم للنشر، ط1، 2018م.

ثانيا: المراجع

1- آرثرايزابرجر: النقد الثقافي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

2- إسماعيلخلباص حمادي، إحسان ناصر حسين: النقد الثقافي(مفهومه-منهجه-إجراءاته) مجلة كلية التربية/واسط، العدد13، نيسان2013، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة واسط، العراق.

3- إيديثكريزويل: عنصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار السعادة إصباح، ط1،الكويت 1993م.

4- أحمد يوسف: القراءة النسقية" سلطة البنية ووهم المحايثة"، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2007م.

5- أحمد يوسف: القراءة النسقية، نقلا عن:

krestеva,Semeiotite,recherches pour un Semamalyse,Ed. Seul,paris,1969

6- أمين معلوف: الهويات القاتلة"قراءة في الانتماء والعولمة"، ترجمة:د. نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع سوريا–دمشق، ط1، 1999م.

7- الجباري إسلامي: مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف في أواخر القرن19، جامعة الوادي، العدد2، نوفمبر، 2013م.

8- جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، الناظور، تطوان/المملكة المغربية، ط1، 2015م.

9- جمال بن دحمان: الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري-التشعب والانسجام- رؤية للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، 2004م.

10- جميلة طلباوي: الخابية، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار(ANEP)، الجزائر ط1، 2014م.

11- حنفاوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م.

12- حميد لحمداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991م.

13- حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة المقدمات النظرية، دار التنوير والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1988م.

14- ريتشارددرولين:مقولات النقد الثقافي، المركز القومي للترجمة، القاهر ة، ط1، 2012م.

15- رزان محمد إبراهيم: خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق، فلسطين، ط1، 2003م.

16- رياض زكي قاسم: الهوية وقضايا في الوعي العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، سلسلة كتب المستقبل العربي.

17- سايموندويورنغ: الدراسات الثقافية مقدمة نقدية، ترجمة:د. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، يونيو 2015م.

18- سمير خليل: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجوهري، العراق، ط1، 2012م.

19- سمير خليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.

20- سمير حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة(دراسة لغوية تحليلية)، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، 2004م.

21- سعيد حمزاوي: صورة المرأة في المعتقدات الشعبية الموروث الشعبي وقضايا الوطن، الملتقى الوطني الأول للموروث الشعبي، الرابطة للفكر والإبداع محاضرات الندوة الفكرية السادسة، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، 2006م.

22- شريفكناعنة: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله,فلسطين،2011م.

23- صلاحقنصوة: تمارين في النقد الثقافي، دار ميريث، القاهرة، ط1، 2007م.

24- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي" قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،ط3، 2005م.

25- عبد الله الغذامي: الممارسات النقدية الثقافية، دار الفارس للنشر والتوزيع،الأردن،ط1، 2003م.

26- عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي،ط2،المغرب، 1986م.

27- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة-من البنيوية إلى التفكيك- عالم المعرفة(سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)،الكويت،1998م.

28- عبد الغني بارة:إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر-مقاربة حوارية في الأصول المعرفية-الهيئة المصرية العامة للكتاب،2005م.

29- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، دمشق،سوريا،ط1، 2004م.

30- عبد الفتاح كيليطو: المقامات" السرد والأنساق الثقافية "دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب،ط2، 2001م.

31- عائشةبومهراز: نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي، مجلة الناص،العدد09، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة جيجل،الجزائر،أفريل،2010م.

32- عبد الله الغذامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2005م.

33- علي حرب: الممنوع والممتنع" نقد الذات المفكرة" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995م.

34- غريب محمد عيد: علم لغة الحركة (بين التنظير والتطبيق)،دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،الأردن،ط1، 2010م.

35- فيصل الدراج: نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي،ط2، 2002م.

36- فنسنت-ب-ليتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات.

37- كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 2018م.

38- كاترينكيرات، أور يكيوني: المضمر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،ط1.

39- مرسل خلف الدواس: النسق المضمر في الرواية القطرية.

40- محمد مفتاح: النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

41- محمد عبد المطلب: النقد الأدبي الهيئة العامة لقصور الثقافة، دار القاهرة،ط1، 2003م.

42- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة فصل الحرفية في الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر،الجزائر،ط2، 2000م.

43- ميشل تومس وآخرون: نظرية الثقافة، ترجمة: علي الصاوي، مج الفاروق يونس، عالم المعرفة،الكويت،1997م.

44- محمد ولد عبدلي: السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية(الشعر نموذجا)،مقاربة نسقية، دار بنيوي للدراسات والنشر والتوزيع،دمشق،سوريا،2009م.

45- محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1996م.

46- مراد عبد الرحمان مبروك: جيوبولوتيكا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الروائي نموذجا دار الوفاء الإسكندرية،مصر،ط1، 2002م.

47- نزار جبريل السعودي: تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلد14،العدد2، 2017م.

48- نكلاس لومان: مدخل إلى نظرية الأنساق، منشورات الجمل،بغداد،ط1، 2010م.

49- نادر كاظم: تمثيلات الآخر"صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2004م.

50- نادر كاظم: تعارضات النقد الثقافي، ضمن كتاب عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، والمؤسسة العربيةللدراسات والنشر،بيروت،ط1، 2003م.

51- نديم البيطار: حدود الهوية القومية، دار الوحدة، بيروت، لبنان، ط 1982م.

52- هيثم أحمد عزام: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، الناظور، تطوان/المملكة المغربية،ط1، 2015م.

53- هاني العمد: الأدب الشعبي في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن،عمان،ط1، 1996م.

54- وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث(رواية إسلامية)،دار الفكر،دمشق، سوريا، ط1، 2007م.

المذكرات

1-محمد لافي الشمري: جهود الغذامي في النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق، رسالة ماجستير، إشراف حامد كساب عياط،2000م.

2-محمد تحريشي: النص والنصية في الرواية الصحراوية، رواية وراء السرداب. . . . قليلا لإبراهيم الدرغونيأنموذجا.

3-وليد خضور: الأنساق الثقافية في الرواية النسوية، رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة.

مواقع الكترونية

1-المركز الديمقراطي العربي، 27 يناير 2016

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
إهداء	□
شكر وعرفان	□
مقدمة	أ
تمهيد: مدخل عام للتعريف بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية	1
1- مفهوم الدراسات الثقافية	3
مفهوم النقد الثقافي	5
التمييز بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي	9
2- مفهوم الأنساق المضمرة	11
الأنساق الثقافية	11
مفهوم الثقافة	14
تعريف الأنساق المضمرة	16
مفهوم النسق الثقافي	17
الفصل الأول: الأنساق المضمرة "نحو وعي نقدي جديد بقراءة ثقافية للنص	
أولا: النسق	21
الدلالة اللغوية	21
الدلالة الاصطلاحية	22
النسق من منظور المناهج النقدية	25
ثانيا: النسق المضمر	29
1- مفهوم النسق المضمر	29
2- شروط النسق المضمر	31
3- خصائص النسق المضمر	32
4- أنواع النسق المضمر	34

أ- الأنساق الأصول	34
ب- الأنساق الهامشية	34
الفصل الثاني: الأنساق المضمرة في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي	
أنواع فضاءات الصحراء في رواية "وادي الحناء"	38
إبراز أهم الأنساق الثقافية والاجتماعية في رواية "وادي الحناء"	45
النسق الثقافي	45
أ-اللباس الشعبي	46
ب-الحنة	49
ج-المطبوخات والمشروبات	49
د-الأهازيج الشعبية	51
النسق الاجتماعي	54
دور النخبة والمفكرين	54
خاتمة	56
ملحق	
غلاف الرواية	61
ملخص الرواية	62
نبذة عن حياة الروائية وأهم نتاجاتها	85
الأعمال التلفزيونية- الجوائز والنشاطات	86
موقع وأقاليم ولاية أدرار	88
لمحة عن مدينة أدرار	89
قائمة المصادر والمراجع	90
فهرس المحتويات	97
ملخص المذكرة	

ملخص المذكرة

مزجت رواية وادي الحناء لجميلة طلباوي بماء سواقي أدرار حيث غاصت في أعماق الصحراء الجزائرية وبالتحديد منطقة أدرار لترسم لنا عالما مختلفا حيث كان عبارة عن مكان تتحرك فيه شخصية الرواية لترسم مصيرها وتعيش أحداث الحكاية وترتكز هذه الأحداث على البطلة"عويشة" التيماوية وفي تفاصيل العادات والتقاليد والأصالة وجماليات الحناء بكل رموزها المرتبطة بتحولات في حياة المرأة.

Note Summary

The beautiful novel Wadi Henna explained by Djamila Talbawi with waters of the Adrar waterways,where she dived into the depths of the Algerian desert,specifically the Adrar region,to paint for us a different world. Weeping symbols associated with transformations in the life of the narrator.

الكلمات المفتاحية

1. وادي الحناء
2. جميلة طلباوي
3. الماء
4. أدرار
5. الصحراء
6. المرأة

key words

1. Henna valley
2. Djamila Talbawi
3. water
4. Adrar
5. the Desert
6. woman

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): غرابي فوزية الصفة: طالب(ة)

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 198901520082600002 والصادرة بتاريخ: 2017.11.16 بدائرة مسيلة

المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي**

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

"أساليب الدهشة في رواية حادي الحناء"

لجميلة طلباوي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

نظرا للمصادقة على إمضاء السيد: غرابي
رهوم ق. 08 جوان 2022

المسيلة في : 08 / جوان 2022

إمضاء المعني

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض من
بوزيدي صباح

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .